شغل حريم

أدب ساخر

جيهان الغرباوى

منتديات المكتبة العربية
www.Tipsclub.net
Amly

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٧

● إهـــداء

إلى الساخر المغامر.. المفعم بالحب والحياة..

إلى أستاذى ومثلى الأعلى، الذى عشق السفر والبشر، واكتشف الحقيقة واعتاد الخطر.

إلى إيهاب الشريف..

السفير المصرى الذى اختفى فى العراق.. لكنه بقى نصب عينى يشجعنى ويدفعنى إلى الأمام، ومازال معى فى كل خطوة على الطريق، مبتسمًا ومتفائلاً كعادته دائمًا(!)

تقديم لابد منه

(مش عايز تقراه.. بلاش!)

أيها السيدات والسادة. أيها الإخوة والأخوات.. بنى وطنى الأعزاء، وقرائى الأحباء:

بفضل مجهوداتكم الجبارة الخارقة، وثقافتكم الواسعة المتشعبة، وكرمكم اللانهائى ولا محدود - وستر ربنا أولا وأخيرًا- استطاع كتابى الأول «أكل العيش» أن يوزع آلاف النسخ وينتشر فى أفخم مراكز البيع وأشهر المكتبات، ويذيع صيته عند الشباب الروش من الزمالك إلى إمبابة والكيت كات، وبعون الله نشرت عنه الأخبار والعروض والمقالات بكبرى الصحف والمجلات، وآخرة المتمة، كرمته الدولة متمثلة فى وزارة التربية والتعليم، التى اشترت منه مئات النسخ، لصالح مكتبات المدارس الإعدادية والثانوية الحكومية، ومن جهة أخرى خصصت له الهيئة العامة للكتاب ندوة خاصة بمعرض الكتاب الدولى فى دورته الثامنة والثلاثين.

ومش عايزة أقولكم بقى، على اللى حصل يومها.. كان يومًا رائعًا، وندوة ممتازة، لم يحضرها إلا ٣ أشخاص فقط (منهم أختى داليا.. وهى بالمناسبة أختى الوحيدة).

بس الشهادة لله بقى، القاعة كانت منورة وشرحة وبرحة وهواها يرد الروح - خصوصًا وهو بيصفر مش لاقى حد فى وشه يصد ولا يرد.

وخير اللهم اجعله خير، اعتليت المنصة ونظرت أمامى فوجدت المكان واااسع، الكراسى فاضياااااا.. (إنتو ما جيتوش ليه؟ مش تبقوا تيجووا؟!!)

نسيت أقولكم إن الشخص الثانى الذى تفضل مشكورا بحضور تلك الندوة النادرة فى تاريخ معرض الكتاب كان رئيس وحدة الدراسات الإسرائيلية، بالمنظمة العربية، الأستاذ الزميل سعيد عكاشة حيث إننى سبق وجاملته بحضور ندوته فى نفس المعرض - قبلها بيومين - والشخص الثالث كان الدكتور أحمد عبدالفتاح، وهو طالب صغير برىء بكلية الطب البيطرى، قابلنى بحفاوة بالغة عند باب الدخول وبعد كلمات المديح وقصائد الاطراء التى صبها فوق رأسى صبًا، قدم لى كتابى طالبًا إهداءً بتوقيعى لوالدته، التى هى على حد قوله من أشد المعجبات بكتاباتى الاجتماعية الكوميدية، ومن أخلص المداومات على قراءة مقالاتى بالأهرام.

القصد.. ما طولش عليكم (قولوا طوِّلى) وأجيلكم فى الكلام (قولوا تعالى).

بدأت الندوة تمامًا مثل «ميتم أم مختار فى فيلم اللمبى» فرااااغ مخجل، وصمت محرج، وانتظار مؤسف وباب مفتوح.. ولم يحضر أحد.

ونحن بالداخل (٤ أشخاص بما فيهم أنا) جالسون فى عرض بنى آدم واحد، يدخل القاعة ولو بالصدفة أو بالغلط!!

قبل أن ينتهى الوقت المحدد للندوة بنص ساعة، استجمعت شجاعتى، وأمسكت بالميكروفون وفتحت باب الحوار والنقاش مع الجمهور (٣ أشخاص) عاااادى جدًا.. ولا هاممنى.. ولاااااكان فى حاجة أبدًا..

فى الوقت نفسه كان الدكتور أحمد عبدالفتاح (القارئ البيطرى إياه) يستدعى شلته من على القهوة، ويستجمع عبر الموبايل شتات بعض أصدقائه المتسكعين فى شوارع وأزقة وأجنحة معرض الكتاب حولنا.

(تحيا كلية الطب البيطرى - أجدع ناس).

مع الوقت تزايد - بشكل ملحوظ - عدد الحاضرين، وازدادت الأسئلة الغريبة والتعليقات الطريفة، وتعالت معها الضحكات فبدى المكان جذابًا للدخول، وفى وقت قياسى امتلأت القاعة عن آخرها، لدرجة أن البعض كان يتابعها وقوفًا(!) ولدرجة أننا تجاوزنا الوقت المحدد لنا، وجُرنا على نص ساعة من وقت الندوة التى تلينا، فخرجت أستكمل الحوار وأتابع الأسئلة والتعليقات خارج القاعة، بين مظاهرة ملفتة من القراء المتحمسين، لا أعرف من أين جاءوا؟ أو كيف جاءوا أو بالأحرى لماذا جاءوا(؟!).

الأغرب أن المشرف المسئول عن تنظيم ندوات معرض الكتاب، جاء وهنأنى بالنجاح غير المسبوق والجماهيرية العريضة، التى تحققت لكتابى والندوة ووعد بأنه سيعيد التجربة، بإذن الله، فى العام القادم مع كتابى الجديد.

وها هو عزيز القارئ كتابى الجديد «شغل حريم» بين يديك، لو سمحت.. وسع وصلى ع النبى.

زى ما أنت شايف (أنا لا هاغشك ولا أكدب فى وشك)

الكتاب لوز ونقاوة.. فرز أول وصنف ممتاز للتصدير.

طب تصدق يا بيه؟!

الكتاب ده كان رايح أمريكا

وعليه طلب فى اليابان

ومتكلمين عليه فى لندن

وسألوا عليه بالاسم فى الأردن وسوريا ولبنان لكن بقى «النصيب» عشان حمادة وغادة وحبايبنا اللى جونا وشرفونا فى ندوة معرض الكتاب هانبيع الكتاب ده فى مصر.

(مين قال هات؟ فرصة يا عالم.. أوكازيون)

ويكون فى معلومكم، الكتاب ده ما طلعش من الهوا ولا اتعمل بالساهل، ولا جه كده «باى لاك».. لا لامؤاخذة، ده شقى ناس، سهرت وعرقت وضحت، والشغل خد منها رقات.. رقات.

عندك مثلا الأستاذ عمرو عكاشة - رسام الكاريكاتير الأول فى الصحافة المصرية المعارضة - فقد أطلقوا عليه الرصاص، وأصيب بعيار نارى فى إحدى ساقيه، أثناء معركة حزب الوفد الشهيرة التى دارت فى بداية إبريل ٢٠٠٦ (سبحان الله.. نفس الفترة التى كان يعد فيها غلاف الكتاب ورسومه)!

أما الأستاذ إبراهيم كريَّم

الذى تحمل عبء طباعة الكتاب وجمع حروفه، وتنسيق سطوره، وتعبئة صفحاته ورسومه على أسطوانات C.D.

بعيد عنك ع اللى جراله بعدها..

جاله الوسواس القهرى والفصام، ومازال يعانى من عقدة الاضطهاد، وكان هايروح فيها لولا ستر ربنا، ده غير إن المَكَن عنده فَوت وسف وعدِّنا الطباعة ملزمة ملزمة بدل المرة خمسة!

الناشر بقى ربنا يستر عليه، وإن كان عليا أنا.. آ آ ٥ ٥ ٥ ٥ ياعزيزى القارئ لو عرفت اللى جرالى.. داللى حصللى وإللى جرالى، ما كنش يخطر يوم على بالى..

ولا أقولك..

مش هاقولك..

أحسن تاخدها جد وتكبر فى دماغك أولا سمح الله تتشائم ولا حاجة..

عمومًا ما تخفش..

عقلك فى راسك، والكتاب فى إيديك، وأنا نصحتك، وإنت حر..

خد لك ساتر، واقرأ من بعيد..

على أقل من مهلك، وربنا معاك..

بس أمانة، لو خلصت الكتاب ده على خير وعديت منها وانكتبلك عمر جديد، أوعى أوعى.. وإياك إياك تنسى تيجى ندوتى فى معرض الكتاب الجاى.. أوعدنى إنك هاتيجى.. لأ صحيح.. أوعدنى.

والله لو ما جيت أزعل!

• يا صباح اللبن الرايب!

طب والنبى الرجالة دول عقلهم «فسفس».. سايبين تزوير الانتخابات، وحرب العراق، وأنفلونزا الطيور والزحمة والخنقة، والغلا والكوى، والعذاب والعيشة والهباب، وقال رايحين يعملولى أبحاث علمية وتجارب سيكوباتية لإنقاذ الرجل من الوقوع فى الحب(!).

مع تحليل التغيرات الهرمونية التى تحدث فى جسمه ودمه ورصد المسارات الكهربائية التى تجرى فى دماغه ومخه حين يتورط فى علاقة عاطفية قوية، فيصير فجأة متيمًا بامرأة تملك عليه مشاعره وعقله وحياته وكلما رآها، انتفض من مكانه، وصاح مثل فؤاد المهندس، يا ست هانم من يوم ماشفتك.. ولهاليب الغرام قادت فى جتتى..

أو ربما غنى لها مثل عبدالمطلب: حبيتك، وبحبك، وهاحبك على طول.. يا خى حبك برص منك ليه، رجاله سايبة وعايبة

ودماغها فاضية زى جيوبها، هرمونات إيه اللى بتتغير فى الدم؟ (هو أنتم أساسًا عندكم دم؟) ومع ذلك خلينا مع الكداب لحد باب الدار، وقالوا الجمل طلع النخلة، آدى الجمل وآدى النخلة.

فى جامعة «لندن كوليدج»، قاموا بعمل مسح لمخ الواقعين فى الحب من العشاق والمغرمين وتبين بعد التجارب العلمية المتكررة، أن الرجل العاشق يفقد عددًا من الدوائر الكهربائية فى المخ أثناء الحب الشديد، لدرجة تفقده القدرة على توقع الأحداث أو التقدير السليم للعضلات، حتى لو كانت فى صورة مسائل حسابية، ومن هنا يؤكد العلماء مقولة «إن الحب أعمى»، بل إنه أحيانا يصبح أعمى ومجنونا أيضًا؛ لأنه عمليًا يؤثر على الشبكات العصبية فى الدماغ، ويفقدها كفاءتها المعتادة، بخلاف تأثيره السلبى على الصحة العقليةً العامة، أما محرر الشئون الاجتماعية فى صحيفة «الأوبزرفر» البريطانية فقد أعلن على الملأ، أن الحب مثل التدخين ضار جدًا بالصحة، ويتسبب أحيانا فى الوفاة (!).

وذلك بسبب ما ينتج عنه من هوس وتوتر واكتئاب أو انفعال زائد مع السهر واختلال العادات اليومية والغذائية، وعدم انتظام ضربات القلب، مما يشكل خطورة بالغة على سلامة الأوعية الدموية.

ومن جهة أخرى يؤكد العالم الأمريكى الشهير «جون جراى» أنه رغم خطورة الحب والغرام على صحة الرجل، إلا أن رحمة الله الواسعة، قد أوجدت لذلك علاجًا طبيعيًا وحيدًا، وهو الملل بعد الزواج.

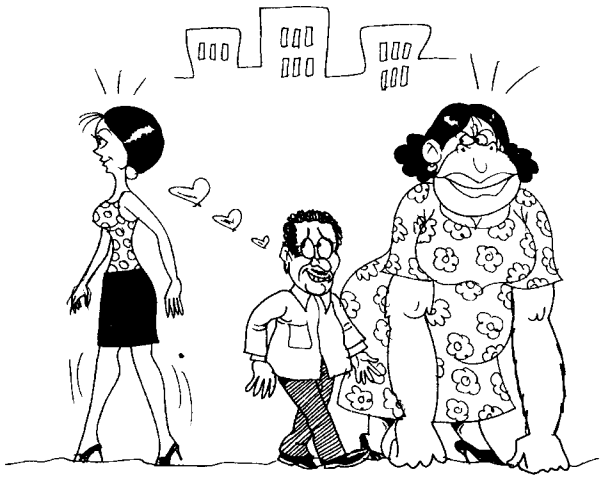

فعندما يتزوج الرجل من المرأة التى كان متيمًا بها ويمضى الوقت - ربما عدة أشهر أو عدة سنوات وفى بعض الأحيان عدة أسابيع - يكتشف الرجل فجأة أنه يشعر بالفتور والغربة، وكأنه مخلوق من كوكب المريخ، يعيش مع مخلوق آخر من كوكب زحل.

هذا بخلاف صنف آخر من الرجال يشعر بقوة أن النساء مخلوقات تم صنعها بإتقان من «خميرة عكننة» صافية ومركزة وذات قوة قتل ثلاثية، وأخيرًا يضيف العالم الأمريكى «جون جراى» قد يكون فى ذلك الإجابة الشافية عن السؤال المعتاد، عند الرجال:

لماذا تتحول الزوجات الجميلات بعد فترة وجيزة من الزواج، إلى صنف نادر من الشمبانزى (؟).

شمبانزى فى عينك.. وقرد لما ينطط منك له.. علماء آخر زمن، ورجالة قليلة الرباية، لكن يكون فى معلومكم بقى، وبالفيظة فيكم نفس التجارب التى أجريت على مشاعر الرجال، اكتشفت أن الغرام والعشق يولدان فى الجسم هرمون اسمه «الروبامين». وهو ده اللى بيخلى الحب موهوج، والإحساس ملهلب والراجل جامد ومتين، بيقول شعر ويجيب فى هدايا، ويسبل عينه، ويسمع الكلام ويعتمد عليه، يمين يقول آمين، وشمال يقول من عنيا الاتنين، وطلباتك أوامر، والكلمة ما يتنيهاش عليكى.

الخوف الوحيد والعدو الأكيد، لهذا الهرمون السحرى العجيب، المسمى «بالروبامين» هو الملل بعد الزواج.

حيث رصدت الأبحاث تناقصه فى جسم الرجل مع الزمن ومرور الوقت، ومع ذلك اكتشف العلماء أن الهرمون إياه متوافر بشدة فى «اللبن الرايب»، وممكن تعويض وجوده فى الجسم بشرب اللبن الرايب يوميًا وبانتظام، يعنى كانت تايهة ولاقيناها.. عليكى وعلى اللبن الرايب، وجوزك على ما تعوديه.. لحد ما يبقى زى الخاتم فى صباعك، وعلى قولة المثل «خديه فى الصبح أجير.. وآخر الليل غفير» وماتتسيش.. قبل ما ينام يحمى العيال ويحط الأكل للفراخ ويبيت على الكتاكيت، ويكنس السلم ويمسح الشقة، ويطبخ الطبيخ وينقع الغسيل وينفض السجاجيد ويحيى العلم، وقبل ما يدخل السرير يغسل رجليه ويشرب اللبن، بس بعدما يقطع ويروب.. وبالشفا إن شاء الله.

• إن كنت ناسي أفكرك!

جلست الفتاة الصغيرة، تقرأ رواية عاطفية من روايات الجيب الأكثر انتشارًا بين الشباب وبينما هى تقلب الصفحات، توقفت برهة ثم استدارت تسأل جدتها بفضول برىء.

جدتى.. يعنى إيه «عشيق»؟ هزت الجدة الطيبة رأسها وهى تتمتم وراء حفيدتها عشيق.. عشيق.. عشيق وفجأة تذكرت شيئًا فنهضت واقفة تصرخ، وهرولت نحو حجرة نومها، وما لبثت أن فتحت دولابها القديم، حتى سقط عند قدميها هيكل عظمى، لحبيبها الذى كان يختبئ واقفًا فى مكانه منذ سنوات!!!

لعنة الله على النسيان «بعيد عنكم وعن السامعين» يقولون إنه صار مرض العصر، وحسب الإحصائيات الأخيرة أصبح «الزهايمر»- الشر بره وبعيد - يهاجم واحدًا من كل ٥٢ شخصًا فى سن الستين، ثم يشكل خطرًا داهمًا على واحد من كل ٥ أشخاص فى الثمانين من عمرهم.

والغريب أن الأبحاث والتجارب العلمية على هذا المرض بالذات فى غاية الصعوبة، حيث إنهم اكتشفوا أن النسيان مرض يصيب الإنسان وحده، دونا عن باقى مخلوقات الله، وبالتالى فجميع الحيوانات بما فيها فئران التجارب، يستحيل أن تكون مؤشرا سليمًا، أو مرشدًا متعاونًا فى الاستدلال على أثر العقاقير، المكافحة لهذا المسح التلقائى فى المخ، والذى أقر الأطباء بأنه مرض لا يجدى الشفاء منه، ومع ذلك فالمصحات التى تعالج وتحتضن كل من سف دماغه شريط الذاكرة، مازالت تتزايد وتتسع بأنحاء العالم، وفى هذا يضربون مثلا بالرجل الذى زار صديقًا له، عائدًا لتوه من إحدى المصحات الأوروبية المتطورة لعلاج الزهايمر فى مرحلة متقدمة.

وقد مال الرجل على صديقه يسأله: إلا بصحيح فى أوروبا بيعالجوا الزهايمر فعلا؟!

أجابه بسعادة: معندكش فكرة.. عالجونى فى مصحة فوق الممتاز.. الحمد لله.. أنا كنت فين وبقيت فين.

سأله بإعجاب: اسمها إيه المصحة دى؟

أجاب مترددًا: حاجة من فوق حمرا، ومن تحت خضرا ولها ورق وريحتها حلوة.

- قصدك الوردة؟

- أيوه.. هى دى.. عليك نور..

ثم التفت الرجل ينادى: ياوردة يابنتى.. هى المصحة اللى كنا فيها اسمها إيه؟؟

وهكذا عزيزى القارئ.. اللهم صلى ع النبى.. سعيد يا سيدنا النبى، إحنا كنا بنقول إيه؟ آهه.. كنا بنتكلم عن الزهايمر، الذى يعتبره البعض مشكلة كبرى ومأساة سودة تهدد حياته بالشلل والفشل والاضطراب، بينما يراه البعض الآخر حلا إلهيًا عظيمًا، لنسيان الأحزان والآلام، وعدم التفكير فى المصائب والكوارث، التى مرت فى حياة الإنسان وخاصة ما قام به من حماقات وأخطاء، لو تذكرها، لكانت كفيلة وحدها، بأن يموت كمدًا. ولعل ذلك السبب الرئيسى فى سعادة الأشخاص الذين أصابهم الزهايمر بعد ٥٣ عامًا من الزواج، فصارحوا أطباءهم أنهم ما عادوا يذكرون ملامح شريك العمر ولا أين يسكنون، ونفس الشىء بالنسبة للذين كانوا يشغلون مناصب قيادية وحساسة، فجاء الزهايمر آخر العمر، لينقذهم من ضغوط العمل الجبار، والتوتر الزائد من أعباء المنصب، وكذلك تأنيب الضمير «!».

عن نفسى لست من هؤلاء ولا أولئك ومع ذلك أعانى غالبًا نوبات من «الزهايمر المبكر»، تباغتنى بين فترة وأخرى، فتنسينى تمامًا الأسماء والأشكال والمواعيد والعناوين والالتزامات والمناسبات الثقيلة على قلبى أو البغيضة إلى نفسى وكأن ذاكرتى تعمل بأسلوب توماتيكى فائق السرعة والجودة، لطرد كل ما هو مهم أو مباح، من تلافيف خلايا مخى السعيد!

المشكلة أن هذا «الزهايمر» المزمن أصبح يضعنى فى مواقف حرجة للغاية، خاصة حينما أضع فرخة فى فرن البوتاجاز ثم لا أتذكرها إلا على باب المصعد الكهربائى بمقر عملى الموقر.

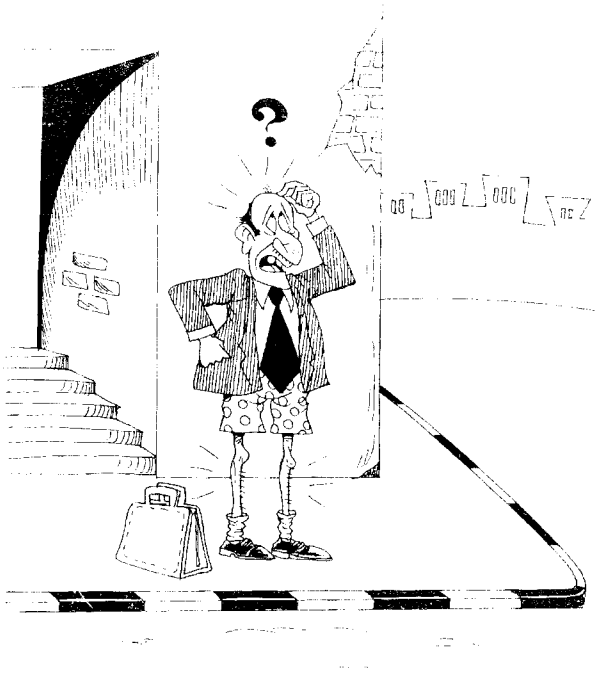

أو عندما أشرع بمنتهى الشجاعة والسرور، أن أقدم أحد أعز زملائى فى العمل، لأحد أقرب جيرانى فى السكن فأبهت بأنى ناسية اسم الاثنين معًا!!

وما تعدش بقى.. تليفونات مصادرى الصحفية، وباقى كلمات أغنيتى المفضلة «أنا فى اللابوريا.. »، ومواعيد مقابلات العمل الرسمية، وفاتورة التليفون، ووصل النور، واسم رئيسى المباشر، وطلب الإجازة وكشف النظارة، وآخر فرصة لسداد المسحوب من الفيزا كارت الذى يتسع يومًا بعد يوم، ولا ثقب الأوزون!

فى النهاية وجدت لى إحدى صديقاتى، حلا عمليًا مجربًا، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل أن أفقد عملى وتنهار حياتى على هذا النحو، فنصحتنى بأن أكتب بالورقة والقلم جدول أعمال صغير يسجل فى نقاط كل المطلوب منى إنجازه خلال اليوم.

وبالفعل اتبعت النصيحة، واكتشفت أنها وصفة ممتازة ومفيدة جدًا، لولا أننى كنت أنسى بمجرد مغادرتى البيت، أن أخرج هذه الورقة من حقيبة يدى، لأقرأها وأتبع ما فيها من تعليمات ونقاط!

وعلى هذا ظل حالى من التوهان والنسيان وتلفان الأمل والتأسى بإخواننا المساطيل وآكلى الطاطورة، حتى لعب القدر لعبته، وتعرضت لموقف جد خطير كان نقطة التحول والتغيير، وذلك عندما.. عندما.. يوم.. لما كان.. اللهم صلى ع النبى.. سعيد يا سيدنا النبى «سورى يا جماعة».. مش فاكرة!!

• بوسة على خد القنصل

كثيرًا جدًا أنذكرها، وأحسدها، وأقول يا بختها اسمها حين قررت أن تنتقم من يوسف بيه وهبى فى فيلم «غرام وانتقام»، تنهدت وعضت شفتيها وسبلت عينيها، وقالتها كلمة وهى الكلمة «هاستعمل معاه سلاح المرأة» بعدها الراجل يا ولداه ما حطش منطق.

كان نفسى أكون زى أسمهان، قوية ومفترية وأحط الشاب من دول فى دماغى، ما يطلعش عليه الصبح إلا وهو واقع على ركبه، بيتمنى لى الرضا أرضى ومرضاشى، ويوعدنى بـ ٢٠٠ فدان قصب من غير سوسه عشان بوسه، وبرضه مرضاشى.

أنا عارفة نفسى، إنسانة جد، ودموعى عزيزة ولا أحب الحركات. ولا ليا فى سهوكة الستات لذلك المرة الوحيدة، التى استهدفت فيها مسئولا كبيرًا، واستعملت معه «سلاح المرأة» كى يقضى لى مصلحة ما، ويوقع على أوراقى عنده بالموافقة جبت من

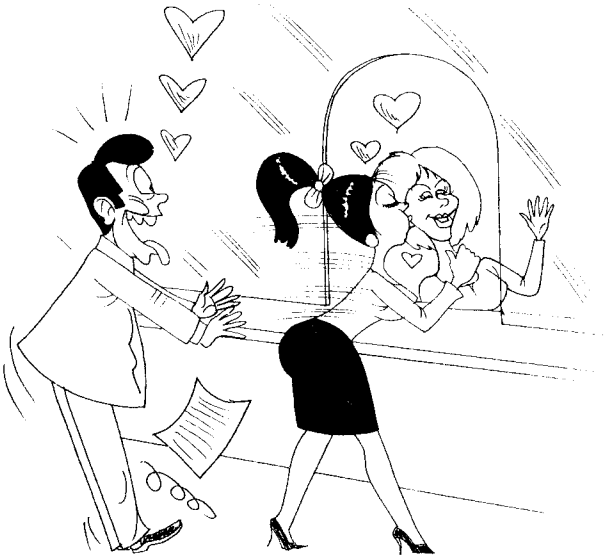

الآخر، وبوسته، بوسة واحدة والله، لكنها والحق يتقال كان لها مفعول السحر، وجاءت بنتائج إيجابية سريعة، أقوى وأكبر مما تطلب أو أتصور، والمسئول الكبير، هو قنصل السفارة الأمريكية، التى ذهبت إليها ذات صباح، بهدف الحصول على فيزا زيارة الولايات المتحدة التى تعتبر الآن، مطلبًا بعيد المنال، وبعيدًا عن نصيب أى مواطن فى مصر وسائر البلاد الفقيرة والنامية، بعد أحداث ١١ سبتمبر على وجه الخصوص.

الأمر الذى يلزم أى مصرى «يحلم» بدخول أمريكا، أن يدفع مقدمًا ٦٠٠ جنيه عدًا ونقدًا كى يأخذ رقما وميعادا ويقف من الصباح الباكر بالدور فى الطابور، أمام باب السفارة الجبارة فى جاردن سيتى حتى ينادوا على اسمه، ويسمحوا له باجتياز الأبواب الحديدية الممغنطة والمشفرة والدوارة والمراقبة، إلى أن يصل ويجلس مع غيره فى قاعة الانتظار.

هذا ما حدث معى تفصيلا، قبل أن ينادوا اسمى من جديد، وأقف أمام الموظفة المسئولة عن فحص الأوراق الرسمية، وهى مصرية عاملتنى بعجرفة واضحة وتأفف ملحوظ وهى تسألنى عن مهنتى، وسنى، ورصيدى فى البنك، والهدف من الزيارة، ثم أشارت لى من وراء شباكها الزجاجى، كى أعود لمقعدى.

بعد نصف ساعة تقريبًا نادت اسمى موظفة الشباك التالى وهى أمريكية زنجية، ضفائر شعرها الأسود المجعد الطويل، لفتت نظرى وأنا أقف أمامها واضعة يدى على جهاز أخذ البصمات الذى يعمل إليكترونيًا بأشعة الليزر الحمراء، حاولت أن أبدى إعجابى

بصبرها، وتميز وإتقان ضفائر شعرها، لكنها رمقتنى بنظرة جافة ساحقة ماحقة، أوقفت الكلام فى سقف حلقى.

بعد نصف ساعة ثانية، سمعت اسمى عند الشباك الثالث، فذهبت ووجدت خلفه شابة أمريكية شقراء متحمسة، لكنها ويا للعجب كانت جميلة وودودة تتعامل بلطف شديد وهى تستجوبنى وتضع إجاباتى وصورتى ومعلوماتى، على شاشة الكمبيوتر أمامها.

من جانبى كنت أجيب عليها باقتضاب بعد أن اتخذت قرارًا بتوفير مجهودى وسماحة وجهى وأخلاقى وحصيلتى اللغوية الإنجليزية، لمقابلة القنصل، صاحب القرار الأهم والأخير فى مسألة سفرى لأمريكا أو عدم سفرى.

لكن الفتاة الأمريكية الحسناء، تابعت بابتسامة واسعة كلامها معى، وفى النهاية قالت لى أوكيه.. الفيزا ستصلك على عنوانك بعد ٣ أيام، تستطيعين المغادرة الآن.

- سألتها بدهشة لكنى لم أقابل القنصل بعد؟

ردت وقد اتسعت ابتسامتها أكثر: أنا القنصل.

- صحت فى وجهها إنتى القنصل؟! القنصل واحدة ست؟! إنتى أول واحدة تبتسم فى وشى النهارده.. إنتى قنصل حلو قوى ممكن أبوسك؟

باستنى وهى تضحك، ولوحت لى بدفء الصديقات العزيزات حتى خرجت من القاعة وتواريت عن نظرها.

لكن هديتها الأكبر وصلتنى على البيت بعد ٣ أيام عندما استلمت، جواز سفرى مختومًا بفيزا دخول أمريكا ٥ سنوات مفتوحة وقابلة للتجديد.

كل ده مقابل بوسة.. وهو ده «سلاح المرأة».

• البرقان.. ضد حقوق الإنسان

طول عمرى نعنوشة وفرفوشة.. أحب النزاهة وادلع روحى، وما استخسرش فى نفسى حاجة أبدًا.. خصوصًا لما أسافر برة، عاديكم ع اللى بيحصلى واللى بيجرالى لما أشوف محلات البرقانات والمكياجات والهدايا والإكسسوارات والحاجات والمحتاجات الأصلى بتاعة بلدها، ما اقدرش أحوش نفسى (تقولشى النداهة بتندهلى).

عندهم هناك حاجة اسمها «تيستر» يعنى كل شىء متاح للاستعمال والتجربة مجانًا، دون قيد أو شرط أو أى التزام نفسى أو أدبى بالشراء.

أنا أشوف كده، وثقافة الحرمان تشتغل وعنها وهات يا «تيستر» فشر نجيب الريحانى فى أفلامه القديمة! يعنى لو عندهم شيكولاتة.. أدوق، ولو عصير أجرب، ولو جبنة هولندى ما

خسرش، ولو فستق مقشر مفيش أى مانع واتسلى وأحكم بنفسى ن كان طازة أو محمص أو ناقص ملح.

وعلى طريقة «أبو بلاش كتر منه» وهى فلسفة وطنية أصلية، يعتز ـا آلاف المصريين والعرب أمثالى فى مثل هذه الأماكن، تتكرر فس التجربة على نطاق واسع فى قسم العطور ومساحيق التجميل كريمات العناية بالبشرة، على اختلاف ماركاتها العالمية وأسمائها التجارية، وبلد المنشأ، وأسعارها الفلكية، التى لا تسترعى انتباهى غالبًا، ولا تشكل لى أى اعتبار، استنادًا على موضوع «التيستر» إياه، على رأى المثل: (السم لو ببلاش يطرّى ع المعدة).

فى «ماركوس» وهو أكبر مركز تجارى فى هاواى، قبلة الموضة والرفاهية الأمريكية وحيث يتردد «الليدز آند چنتل مان» من أثرياء ونجوم ومشاهير الدنيا أتيحت لى فرصة التجول ومتعة الفرجة والدهشة والاكتشاف وتفقد المعروضات حوالى أربع ـ خمس ساعات وإن قدمى أصبحت تئن بحملى، وتطلب الراحة والچيل المرطب بالنعاع المنعش، للعناية بالأطراف وأظافر القدمين، وحيث إن هذا النوع من الدلع متاح ومجانى وعادى فى مثل هذه الأماكن الفارهة، جلست على أقرب مقعد كى أضع قدمى فى الچيل بالنعناع، وأجرب فى يدى أحدث ألوان طلاء الأظافر «الأورانج ـ ميتالك ـ إيف سان لوران».

ومن باب استثمار الوقت ـ بالمرة ـ طلبت من البائعة المختصة «تيستر» قناع الوجه المنظف للبشرة ومن بعده الليسيون القابض

للمسام، ثم سألتها بعفوية المليونيرات، ورقة سيدات الطبقة الأستقراطية الناعمة، لو كان عندها «أى شادو» - يعنى ظلال جفون - يليق بلون عينى، و«ماسكرا» تطيل الرموش، و«بلشر» وردى للخدود؟

فلم تكذب البائعة خبرًا، وذهبت من فورها تستفتى زميلة لها عند واجهة العرض الزجاجية المجاورة عن طبيعة الخطوط ودرجات الألوان وأنسب الأنواع قد تقمصت الدور تمامًا، لدرجة أقنعت معظم العاملات الأنيقات فى أقسام البيع القريبة، بالالتفات حولى، وتقديم النصح والإرشاد اللازم، مع إبداء ابتسامات عريضة مرحبة، تنم عن حرارة المشاعر، وتؤكد أن الكلمات الأجنبية الغامضة التى سمعتها منهن يومها - كانت غالبًا بمعنى تحت أمرك يا افندم.. بكل سرور - نتمنى أن نراك كثيرًا عندنا.. تأمرينا حضرتك، ومن ناحيتى كنت أهز رأسى قليلاً وأبتسم ابتسامة ود خفيفة، تليق بكبرياء كليوباترا، وسحر نفرتيتى وعراقة توت عنخ آمون ولمزيد من التواضع وإبداء التباسط مع البائعات الفلبينيات المهذبات. كنت أردد على مسامعهن بين فترة وأخرى سلامات.. سلامات.. سلامات.

(وهى كلمة فلبينية بمعنى شكرًا، وليس لها علاقة تذكر بأغنية نادية مصطفى).

فى النهاية تأملت نفسى بزهو أمام المرآة، وبالطبع لم أشتر أى شىء بحجة أن أفضل أن أعود للبيت وأسمع رأى زوجى أولاً، ثم انصرفت إلى قسم العطور، أضع عطرًا فوق الآخر.

«شانيل ـ شايف» بتاع الست مارلين مونرو ـ الله يرحمها ويحسن إليها. مع برفان «جنيفر ـ لوبيز» الله يكون فى عونها ويسهل لها.

مع رشة من «دلسى فيتا»، ونفحة من «ديو» وبخة من «لان كووم»، ونقطة من «ناناريتشى» ولمسة من «آلان ديلون» وبهذا الكوكتيل النادر من العطور العالمية الغالية، أكملت سيرى نحو باب الخروج، والبائعات مازلن يتابعننى بعيون محبة شاكرة وابتسامات معجبة مشجعة، لم تكن تتم أبدًا عن حجم المفاجأة وبشاعة الصدمة، التى وجدتها على ملامح المرشد السياحى المصرى، الذى كان ينتظرنى حينها فى السيارة، ليكمل بى برنامج الزيارة المعد مسبقًا ويذهب بى فى المساء إلى رحلة بحرية عبر مياه الباسيفيك، على مركب سياحى فاخر، يحمل معنا وغيرنا عشرات السياح الأجانب من علية القوم وأثرياء أمريكا، وقد أكد المرشد المرافق لى وهو يسد أنفه بيده فى قرف شديد، أنه لن يستطيع أن يصطحبنى إلى أى مكان قبل أن أزيل تلك الرائحة الفظيعة التى تفوح منى عن بعد.

ثم أضاف يقول ما هذا.. إننى أشعر وكأنى فى جنينة أو فى مصنع عطور ألا تعرفين أن البرفان ضد حقوق الإنسان (؟).

ـ فى البداية تصورت أنها نكتة للمزاح.. وجربت أن أتصنع الضحك، لولا أن المرشد إياه كان مصرًا على الشرح، فأكمل بإشمئزاز شديد:

البرفان النفاذ سمة الشعوب المتخلفة والعالم النامى وهى ضد حقوق الإنسان فى أن يتنفس الرائحة التى يريدها هو وليس

شخصًا آخر.. لو أن أحدًا شم رائحتك على المركب سيقفز فى الماء ليبتعد عنك (!) عندكم فى مصر الذوق العام متماثل إلى حد بعيد.. لكن هنا فى أمريكا الثقافات مختلفة والجنسيات متعددة والرائحة التى يحبها الصينى غير ما يحبها الهندى بخلاف الأوروبى واليابانى والأمريكى.

قبل أن يكمل محاضرته فى ثقافات الشعوب واختلاط الأجناس، ذهبت أهرول إلى حجرتى بالفندق كى أبدل ملابسى وأغسل وجهى، نزلت ومعى فوطة محشوة مكعبات الثلج، وظللت طوال الطريق نحو المركب أضع الكمدات فوق معصمى وحول عنقى أزيل أى أثر لأية رائحة فوق جلدى، وكأنى خارجة لتوى من مقلب زبالة كبير، أو كأنى كنت أضع «إيصانس شادية»، وخلاصة روائح القطط الميتة وزيت الخروع وفسيخ شم النسيم!!

ناس لا بتفهم ولا بتقدر.. قطع البرفان على الأمريكان والمرشد السياحى وحقوق الإنسان فى ساعة واحدة.. بلا مسخرة بلا قلة قيمة!!

• يا عزيز يا عزيز نحه نناهض التمييز

القلقاس والمانجة والعرب: أكثر ٣ حاجات تعانى التمييز وسوء الفهم وقسوة المعاملة من الأمريكان المتعجرفين، خاصة فى هاواى وجزر الهونولولو، التى تجولت فى أنحائها وعشت بين أهلها، قرابة أسبوعين كاملين، شفت فيهما العجب، وأنا أحاول فى كل مكان ومناسبة أن أفصح عن هويتى العربية، أو جنسيتى المصرية، بارتداء الزى الشعبى القومى ـ المتمثل من وجهة نظرى ـ فى الجلاليب البلدى المقصبة (شغل كرداسة ووارد الحسين)، وأغطية الرأس المشغولة بخرج النجف والخرز والترتر (فشر زنوبة العايقة فى روايات نجيب محفوظ)، مع وضع كل ما تيسر من مشغولات فضية أو إكسسوارات محلية، مثل الكردان الصعيدى، والحلق التارة، والخواتم العريضة المرسومة بالخط العربى الفصيح، الأمر الذى كان يعطى لمظهرى فى أى مكان أتواجد فيه، تميزًا ملفتًا، وانفرادًا لا تخطئه العين لكنه كان يعطى لمرافقى ـ فى ذات الوقت ـ فرصة عظيمة ونادرة، لتلقى أكبر قدر من الانتقاد والتوبيخ الذى

وصل إلى الازدراء أحيانًا، وإلى التعدى بالضرب فى بعض الشوارع(!)

مش قلتلكم فاهمين العرب غلط؟! تمامًا مثل القلقاس الذى يقدمه أهالى هاواى الكرام، على موائدهم العامرة بالأناناس والكريز وجوز الهند، كوجبة رئيسية جنبًا إلى جنب الإستاكوزا، والجمبرى وأسماك المحيط الهادى طازجة القوام رائعة المذاق، المشكلة الوحيدة أنهم مصممون على إعداد وتقديم القلقاس كعصير، لزج القوام، بنفسجى اللون، غنى بالفيتامينات، عديم النكهة والرائحة (!)، وأذكر أنى قابلت هذا القلقاس كثيرًا فى عزومات غداء وعشاء كنت أدعى إليها فى أفخم وأشهر المطاعم السياحية هناك، وأكثر من مرة غالطت نفسى وأعطيت لعقلى إجازة وحاولت تذوق عصير القلقاس هذا، فوجدت أن البشاعة أقل ما يوصف بها طعمه، والأغرب أن هذا هو رأى الأمريكان فيه أيضًا، لكنهم يحترمون قيمته الغذائية إلى حد الإجلال والتعظيم وفى الوقت نفسه لم يصل إلى علمهم بعد، أن القلقاس يمكن أكله مطبوخًا، مرة أخضر بالسلق، ومرة أحمر بالدمعة، ولذا كان أقسى اجتهاد لهم معه، هو استخدامه فى عمل خبز القلقاس الموف، الذى يبدو على المائدة كقطعة صلصال لينة، شكلها يوحى باللعب أكثر ما يوحى بالأكل ومع ذلك جربته، فوجدت أن طعمه مخبوز أرحم على كل حال من تجرعه معصورًا!

أما المانجة، التى ينادون عليها فى شوارعنا بقولهم «عظيمة يا مانجة» فلها عند شعب هاواى، شأن آخر، يجعلهم ـ لسبب غير

معلوم لى - حتى الآن يتعاملون معها على اعتبار أنها من فواتح الشهية فيقطعونها مكعبات ومستطيلات صغيرة، ويضعونها فى الخل والملح والبهارات، حتى تصير «مخلل مانجة»، وبالهنا والشفا، تأكلها كصنف «حرش» مشطشط، يكسر ميوعة نفسك إذا جزعت من الحلويات أو الفواكه المسكرة، وهكذا هى تقريبًا، نفس فكرة بعض الأمريكان عن العرب الآن، فنحن من وجهة نظرهم فصيل خاص من البشر معظمنا سوابق، ومسجل خطر فى الموانى والمطارات، لاشىء نحسن عمله، أكثر من القنابل والمتفجرات، ولا هدف لنا فى الحياة، أهم من التخطيط للأعمال الإرهابية، وتنفيذ الحوادث الانتحارية، وقتل المدنيين الأبرياء فى أبراج التجارة العالمية، لذا عذرت مرافقى (وهو مهاجر مصرى الأصل، أمريكى الجنسية) عندما كان يصر ألا يتحدث معى بالعربية، فى أى مصعد كهربائى لمبنى كبير، فذلك سوف يثير حولنا الشكوك، هذا غير أنى سوف أرحل عاجلاً أو آجلاً، وتبقى له كراهية وضغائن جيرانه، وزملائه بالعمل، من الذين لو علموا أنه عربى مصرى مسلم، فلن يهدأ لهم بال، ولن يهنأ لهم عيش، إلا إذا «طفشوه» وأبعدوه عن عمله ومقر سكنة بينهم (!). فى المساء كنا على العشاء فى ضيافة فندق فخم ضخم، وكنت أنا بالزى المصرى الشعبى إياه، عاملة فيها (سيدة من الشرق) وفشخورة قوى بالجلابية البلدى والمنديل أبو أوية، وشكلى البديع اللميع فخر الصناعة الوطنية، ورمز الشموخ والإباء والانتماء، اعتزازًا بالست أم كلثوم حين زارت باريس، وتمثلاً لكبرياء نفرتارى، وتمثالها يلف متاحف إنجلترا.

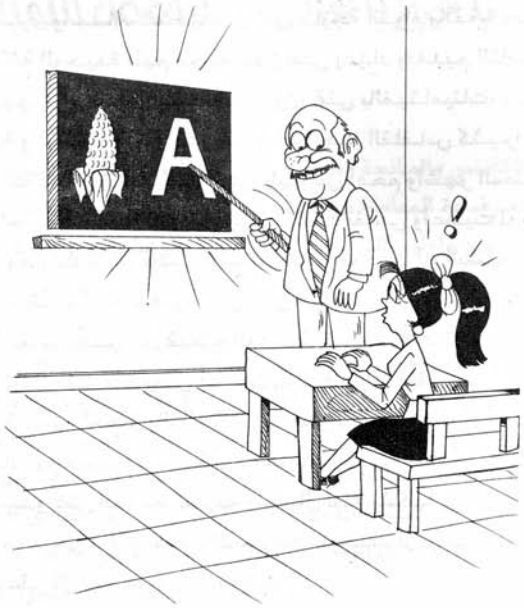

لكن الأمر يختلف فى أمريكا على ما يبدو، لذا توسل إلىّ مرافقى أن أسرع الخطى وأنا أسير إلى جواره، نحو المائدة حاملة بين يدى أطباق (الأوبن بوفيه) مما لذ وطاب من أصناف العشاء الشهى اللذيذ، حيث إنى كنت أسير بكعب عالى (٩ سم) لزوم الشموخ والكبرياء، طلبت منه، ألا يبالى، ويسبقنى هو بخطواته الرجالى الواسعة إلى حيث شاء، لكنه أصر وأفهمنى أنه لن يستطيع أن يسير قبلى بخطوة واحدة؛ لأن الأمريكان حولنا سيفسرون ذلك على أنه زوجى الذى يقهرنى، ولا يسمح لى إلا بالسير خلفه، وحيث إن شكلى وحالى يغنى عن سؤالى، فسوف يستنتجون أننا عرب متخلفون، نقمع المرأة ونحقر من شأنها، أمام الرجل الشرقى المستبد الظالم.

(كل هذا سيفهمونه لو مشيت متأخرة عنك خطوتين؟) هكذا سألت مرافقى مزدوج الجنسية مصرى الملامح، واتهمته بالمبالغة والتهويل طبعًا، على أساس أنه يستعرض على عضلات ثقافته الأمريكية وخبرته بمجتمع لم يسبق لى التعايش معه من قبل، لكن ذكائى الفطرى، جينات المفهومية الوراثية فى دمى يمنعانى منعًا باتًا، من أن أبيع دماغى جزافًا هكذا أو أسمح لكائن من كان أن يسرح بى، «ويمِّيس عليا» ويركبلى البدالات فى ودانى.

وعلى هذا رفضت أية حجة مفتعلة أو سبب مصطنع يجبرنى على تغيير مظهرى أو سلوكى فى أى مكان وتحت أى ظروف ولقد دفع مرافقى المسكين، الثمن وحده، حين تلقى لكمة قوية مفاجأة،

من أحد المارة فى الشارع كان يسير فوق نفس الرصيف الذى نسير عليه فى الاتجاه المعاكس، وحين عرف من شكلى وغطاء راسى نسى أنى عربية ويرجح أن أكون مسلمة، هبد الرجل الملازم لى خبطة كادت توقعه أرضًا وتترك آثارها القوية على وجهه وكتفه وصدره.

وقد حاول مرافقى الغاضب وقتها، أن يلحق بذلك الأمريكى العنصرى البغيض، ويرد له التحية بأحسن منها، لكنى وقفت فى طريقه وتوسلت له ألا يفعل، وإمعانًا فى نبذ العنف وتحسين سمعة العرب والمصريين بالخارج، قررت من يومها ألا أرتدى فى شوارع أمريكا، غير الديرتى جينز والقبعات الخوص والتى شيرتات القطنية، والملابس الرياضية خسارة فيهم جلاليب التراث والغوايش والترتر (!!!).

• ديفيد... بعد نص الليل!

• صدق من قال «الجبن سيد الأخلاق» والأدب فضلوه عن اللحمة أم ٣٣ جنيه!

بعيد عنك فيه ناس كده، لا ينفع معاها ذوق ولا يحوق فى جتتها نصح وإنسانية، ولا تمشى لا ينصلح حالها، إلا - لا مؤاخذة - بالسك على دماغها..

عندك أنا مثلاً (ومش عيب الواحد يعترف على نفسه على وعسى الناس تتعظ وتعتبر) ياما أمى كانت تقوللى، يا بنتى عيب.. صوت الكاسيت عالى.. أوى يا بنت وطى التليفزيون شوية، الجيران تقول إيه؟ اعملى حساب واحد عيان.. واحد بيذاكر.. واحد عايز ينام.. والحقيقة إنى كنت دائمًا أسمع واقتنع وأقول حاضر لكن الجيران كانت تلاحظ بعدها أن سلوكى الإنسانى المتجدد، وعاداتى اليومية التلقائية، لم يطرأ عليها أى تغيير فى أى مرة.

ربما لصدق المثل الفلاحى القائل: «اللى ما علمهوش أبوه وأمه.. تعلمه الأيام والليالى»، وربما لأن القدر كان يخبئ لى موعدًا محتومًا مع «ديفيد»!

أول مرة قابلت فيها «ديفيد» كان فى مدينة «لوس أنجلوس» الأمريكية، التى قضيت بها يومين على سبيل الترانزيت ليس أكثر - منها تلك الليلة الباردة الكئيبة، التى كنت أشعر فيها بوحدة وخوف وإحساس عميق بالغربة، ومع ذلك استطعت إقناع نفسى، أن الشعور الأهم الأكبر وقتها هو شعورى بالجوع، الذى لا محيص من مقاومته والنزول إلى الشارع، لشراء أى شىء يصلح للعشاء.. وللإفطار والغذاء فى اليوم التالى إن أمكن..

على باب الفندق الذى كنت به، سألت الحارس عن أقرب سوبر ماركت، فوصف لى «رافس ماركت» الذى يفتح على مدار الأربع وعشرين ساعة ويبيع كل شىء تقريبًا، وقال إنه ليس بعيدًا جدًا، أستطيع أن أبلغه سيرًا على الأقدام، وإن شئت يمكننى ركوب «تاكسى» أو أى أتوبيس.. وحيث إن الغريب أعمى ولو كان بصيرًا خفت من ركوب التاكسى وحدى فى هذا الوقت المتأخر من الليل، وخشيت أيضًا أن أركب أتوبيسًا يذهب بى فى الاتجاه الخطأ، وعلى هذا كان المشى أضمن وأرخص، ورياضة تكافح الشعور بالبرد القارص وتقاوم أحاسيس النكد والانقباض.

ورغم أن فوائد المشى عديدة وشهرية وملايين الأشخاص فى العالم وفى أمريكا يعرفونها - مثلى وأكثر - إلا أننى لاحظت أنى

كنت الوحيدة التى تمشى فى الشارع يومها، وغير ذلك كان الناس المحترمون راكبين عربيات، وليس معى أو حولى غير أنوار السيارات التى تلتمع فى الظلام، وبعض يافطات الدعاية والإعلانات الملونة، المرفوعة فوق الكبارى، وعند المفارق، وعلى واجهات بعض الأبنية والمحلات، وقد توقفت فترة ألتقط أنفاسى، عند إعلان ضخم مضىء يحمل صورة تشرشل وهو يرفع أصبعيه بعلامة النصر، ومعها عبارة تقول ما معناه: أبدًا..أبدًا.. أبدًا لا تيأس ولا تمل ولا تتوقف (!).

والحق أنى حتى هذه اللحظة ـ التى أتحدث إليكم فيها ـ لم أعرف أصلاً عن ماذا كان ذلك الإعلان (؟!).

لكنى على أية حال اعتبرت أن السيد تشرشل ـ ساعتها ـ كان يقصدنى بالخصوص، ويوجه كلامه لى على وجه التحديد، فواصلت السير حثيثًا نحو هدفى.

«رافس ماركت»، الذى بلغته أخيرًا (بعد حوالى نصف ساعة من المشى والجرى وتأمل إعلانات الشوارع) ومنه اشتريت الجبن والعصير، وخبز الذرة المقرمش بطعم الفيشار، مع بعض قطع الكيك بالعسل، والكيك بالسكر، والكيك بالمكسرات، وهى للعلم من أرخص أنواع الأطعمة فى أمريكا، ربما لأنهم يعتبرونها أغذية غير صحية وضد الرجيم، أو تأكيدًا لمبدأ (مفيش عيش.. كلوا جاتوه).

فى نهاية الليل كنت أجلس فى غرفتى على السرير.. أتناول هذا العشاء العجيب بشغف أمام التليفزيون الذى كان يعرض وقتها

فيلمًا أجنبيًا تدور أحداثه فى لوس أنجلوس، ورغم أن الفيلم كان مملاً وأعتقد أنى شفته قبل كده، إلا أننى اكتشفت أخيرًا لماذا كنت المخلوقة الوحيدة التى تسير فى الشارع اليوم (؟)؛ فقد ظهر من بعض مشاهد الفيلم، أن السير بشوارع لوس أنجلوس، وفى مثل هذا التوقيت المتأخر من الليل مغامرة خطيرة، قد تعرض صاحبها للخطف أو للقتل أو السرقة بالإكراه على يد الزنوج المخمورين أو المسلحين من الذين يفرضون نفوذهم بالقوة الجبرية، على عدد من الأماكن والشوارع الأمريكية، وذلك لأن الذى.. التى .. هو.. البتاع.. ال..

لم أستطع تجميع أفكارى، واكتشاف المزيد ومتابعة التفاصيل والأحداث، فقد تهيأ لى فجأة أننى أسمع صوت طرقات قوية على الباب...

فى البداية تجاهلت الأمر، وحاولت العودة والاندماج مع التليفزيون، لكن الطرق تكرر، بصوت وإصرار أكبر (؟) تجمدت خوفًا فى مكانى، وابتلعت ريقى بصعوبة وحاولت تهدئة نفسى وإقناعها أنها تهيؤات، وخيالات، وهاموش بسبب الأكشن والإثارة فى فيلم السهرة، لكنى سمعت الطرق مجددًا واضحًا! نظرت لساعة يدى الملقاة بجوار الوسادة، فوجدتها الثانية والنصف من بعد نص الليل.. تسحبت على أطراف أصابعى نحو باب الغرفة، وقبل أن أضع أذنى على الباب، دق الباب بقوة تنفى أية شبهة للوهم فى الموضوع.

من الذعر قلت بالعربى:

(مين؟!؟)

ثم عدت أصحح السؤال، وأقوله بالإنجليزية (هوو. إز.. إت؟)

- أجاب صوت غليظ أنا ديفيد افتحى.

(ياخبر أسود.. وكمان اسمك ديفيد؟)

هكذا قلت لنفسى، ثم أكملت أسأله. وأنا مرعوبة:

ماذا تريد؟ من أنت؟

- رد مكررًا: أنا ديفيد.. أريد أن أتحدث معك.. افتحى.

نظرت من العين السحرية فوجدت خلف الباب رجلاً أسود زنجيًا، طول بعرض، قد الحيطة ويرتدى بدلة رسمية كاملة.

لم أعرف وقتها أين أختبئ أو بماذا أستغيث فأعطيت ظهرى للباب بسرعة، وألصقت يدى بالحائط القريب، واللى طلع عليا ساعتها (أى كاانت أى كاانت) بمعنى لن أستطيع أن أفتح لك!!

حاول ديفيد إقناعى إنه يريد الحديث معى وليس أكثر..

لكن على مين؟ اللى طلع عليا هيستريا (أى ى.. كانت.. أى كاانت)

ساعتها اقتنع ديفيد أنه لا فائدة منى، فقال بصوت واثق آمر: أنا ديفيد من طاقم أمن الفندق، صوت التليفزيون فى غرفتك عالى، وقد اشتكى بعض نزلاء الغرف المجاورة، من فضلك اخفضى الصوت قليلاً أو أغلقيه!!!.

• طبق سلطة كبير

عندما تكون رحلة السفر، مقدارها، نص الكرة الأرضية بالتمام، وتستغرق ٣٠ ساعة، متواصلة بالطيران، وتجعلك ترى الشمس بلا غروب وكأن النهار عرض ممتد ٣ أيام، لا تسأل حينها عن موعد صلاة العشاء أو الفجر حسب التوقيت المحلى لمدينة القاهرة، وحيث إن مضيفات الطائرة معظمهن روسيات وبعضهن من شرق آسيا وجميعهن لا يتحدثن اللغة العربية، وحتى الإنجليزية لا يفضلن الإفراط فى تداولها معنا، وضعت أنا الأخرى لسانى فى فمى، واكتفيت بإسباغ الوضوء، وإخلاص النية، وتوكلت على الله، وجلست أصلى فى مقعدى بهدوء من دون أن أسأل أحدًا طبعًا عن اتجاه القبلة:

رحلة سفرى الطويلة كانت إلى هاواى، عاصمة جزر الهونولولو الأمريكية، التى تقع فى مواجهة مصر تمامًا، على الجانب الآخر من الأرض، بحيث إذا أشرقت الشمس عندهم اختفت من عندنا،

وإذا رأيت عندنا الغروب فمعناه أن الشمس فى نفس اللحظة تشرق فوق سواحل هاواى على المحيط الهادى، وتداعب بأشعتها أشجار جوز الهند الطويلة المائلة وحقوق الأناناس وحدائق الورد الأحمر والأصفر والبنفسجى، الأكثر انتشارًا هناك، والتى يعدون منه عقودًا رائعة يستقبلون بها السياح فى المطار تهنئهم بسلامة الوصول، وتبشرهم بإقامة ممتعة وإجازة سعيدة جدًا على شواطئ «الباسيفيك».

لكن الذى أريد التحدث عنه من صباحية ربنا هى «إيملدا» قابلتها فى رحلة العودة من أمريكا إلى أمستردام ثم إلى القاهرة، كانت تجلس إلى جوارى بالطائرة ولاحظتنى وأنا أصلى فى هدوء بمقعدى كالعادة فما إن انتهيت حتى وجدتها تبتسم فى حنان عريض وتطبطب على كتفى فى ود حميم، وتقول لى بكلمات إنجليزية مكسورة: أحسنتى صنعًا أنا معجبة بك جدًا لأنك تصلى، ثم أشارت للسماء وقالت: أنتى تحبين الله.. وأضافت بنفس ابتسامتها الطيبة أنا أيضًا أحب الله.. الحياة قاسية جدًا يا ابنتى، ولابد لنا جميعًا أن نتجه للسماء ونطلب العون والحب من الله، حتى نستطيع أن نحتمل الألم.. أمريكا أفسدت كل شىء والعالم صار قاسيًا فى كل مكان.

بعدها توثقت العلاقة بينى وبين «إيملدا» التى عرفت أنها أم بلغارية تعمل فى أمريكا وأثناء إجازتها القصيرة تعود لزوجها المريض وابنتها التى تعمل ممرضة فى وطنها الفقير.

على نفس الطائرة، كانت تجلس د. إيمان الرفاعى المصرية المهاجرة من قبل ٢٠ عامًا إلى أمريكا وتحاول أن تعود مع زوجها وأولادها الآن إلى دفء الوطن، لكن أولادها يرفضون بشدة ويعانون من الزحمة والفوضى والرشوة، التى جعلت مصر على حد تعبيرهم «طبق سلطة كبير». وفى رحلة العودة أيضًا مواطنة عراقية رفضت أن تبقى فى أمريكا لأنها تدفع سنويًا من دخلها ٥٠ ألف دولار ضرائب، وتعلم أن هذه الأموال تخصص لدعم الحرب على العراق! أما السيدة أحلام فكانت أكثر أناقة ورقَّة، وهى سيدة لبنانية محجبة، تُصر أن فى لبنان جميلات متدينات وملتزمات وليس كلهن نانسى وهيفا وإليسا، كانت تزور ابنتها المقيمة مع زوجها فى أمريكا، وقالت: «إن فى أمريكا أماكن جميلة وجوانب جيدة للحياة لكنها بالطبع تفضل الحياة فى لبنان» ثم انسحبت لتصلى فى مقعدها، بعد أن أدركت مثلنا «بالويم» والشبه كده إنه الآن موعد صلاة العصر.

• أنا لون جديد

باركولى يا عالم.. باركولى يا هووه.. خلاص.. حلم حياتى بيتحقق.. طب تصدقوا بإيه؟ أنا من ساعة ما جبت عدسات ملونة، وأنا متفائلة وشايفة الدنيا عسلى بيكب على أخضر! والدليل أهوه أنا مش جايبه حاجه من عندى:

أخيرًا ادونى صفحة من بابها وعينونى رئيسة قسم المرأة بجريدة اضحك للدنيا.. أخيرًا وجدت من يقتنع بتميز ذوقى الموزنبيقى الإفريقى، المحب للألوان الفاقعة، والمتحيز للموضة الفسفورية، مع الفساتين أم كرانيش وقصات، والبلوزات الستان أم فيونكات، والألوان المشجرة بالورد الأحمر والأورانج الآخاذ.. هذا طبعًا غير الشراشيب والبرانيط وشغل الترتر وخرج النجف اللى يجنن (مش باقولكم.. حلم حياتى بيتحقق).

كل مجلات المرأة وصفات الموضة تؤمن أن البساطة سر الأناقة، لكن إحنا بقى (واااوو.. وسع وصلى ع النبى) ماحصلناش

قبل كده فى الأمة العربية.. يعنى لا بساطة ولا بطاطا وإنسى بقى لا چيلى بالكريم شانتيه، ولا ابنك على ماتربيه ولا اعملى شعرك موزبيليه ديكولتيه.. لا.. لا..لا.. إحنا لون جديد، وفكر جديد، ومصر اليوم فى عيد.

قابلينى فى صفحتى المتخصصة بعنوان «شغل حريم» وشعارها «الرجالة ماتوا فى الحرب» وبنفسك ستتأكدى إن الدنيا اتغيرت، وعالم المرأة انقلب رأسًا على عقب، (خاصة بعد ١١ سبتمبر)، وأخيرًا لا يسعنى فى هذا الموقف الجليل إلا أن أشكر السادة المسئولين، الذين منحونى ثقتهم الغالية، وشرفونى وأسعدونى برئاسة قسم المرأة فى جورنال إسبوعى ثابت ساخر واعد، كى أوفيكم أسبوعيًا بآخر أخبار الفناكيش والفرافيش التى تهم كل سيدة وآنسة ومودموازيل.

وإن كان عندك إنتى وهى، سؤال كده ولا كده، من «عدساتى الاثنين»، تحت أمرك.. وبشوقك وبراحتك، ابعتيلنا نرد فى الحال أى خدمة أى وصفة أى عركة.. هتلاقينا معاك وفى ضهرك.

لكن ياريت.. ياريت يعنى.. تكونى على مستوى الحدث وعندك نفس رغبتنا الأكيدة فى التجديد والتطوير وتحديث اهتمامات المرأة فى عالم سكالانس متغير.. يعنى لا تسألينى عن مقادير الكسكسى المغربى بالمكسرات المقلية، ولا طريقة صينية «الاستراچنانوف، بالخرشوف على الطريقة الروسية».

أولاً لأنى نفسى ماعنديش أى فكرة عن شغل البيت، وثانيًا لأنى مصرة أن تكون صفحتنا شيئًا مميزًا ومنفردًا وغير متوقع.. ثالثًا والأهم لأنى الأيام دى سعيدة وعايشة قصة حب فريدة ومش عايزة حد يشتت أفكارى ويطلعنى من «الموود» سيبونى أحب فى هدوء وإدعوا ربنا يهديهولى (مش قلتلكم حلم حياتى بيتحقق؟!!).

• «وش القفص»

أمريكا هى السبب والله يجازى اللى كان السبب.. من يوم ما طلعت فى السخامة، العولمة دى، والدنيا حالها لا يسر عدو ولا حبيب، أخلاق المجتمع بقت زى فردة الشراب المقلوب، والرجولة الحلوة نفدت من الأسواق، ولم يبق على بختنا المايل، غير المرتجع والكسر والفرز الثانى.. فييين.. أيام الجدعان والشباب اللى يشرح القلب الحزين؟ الراجل من دول كان سند وحماية، ومشاعر قوية وكلها حنية، دلوقت خلاص بح مفيش واكتر من الندالة والهجص والحركات ما تلاقيش.. وش القفص جبر من بدرى، وما فضلش فى السوق النهارده غير المفقع والمضروب والمدود منه فيه.

شىء يسد النفس. بعيد عنك. ويجيب الإحباط المستعجل.. على رأى المثل جوه وبره فرشتلك وأنت مايل وإيه يعدلك؟

وبمناسبة جوه وبره، صدر فى اليابان مؤخرًا كتاب عن نفس ذات المشكلة، التى نعانى منها الآن فى مصر، وهى انعدام الرجالة

التى تصلح للارتباط، أو الجديرة بالحب والإعجاب، أو المستحقة للعطاء والاحترام!

الكتاب إسمه «الخاسرات» ومؤلفته فتاة يابانية وصلت للخامسةوالثلاثين من عمرها دون زواج وعلى هذا أصدرت ذلك الكتاب، لتعبر عن نهاية رجالة «وش القفص» فى اليابان أيضًا، لدرجة مؤلمة ومؤسفة دفعت عشرات الفتيات اليابانيات للسفر ومحاولة الهجرة إلى أمريكا وأوروبا، للارتباط والعيش مع رجل فى نفس مستواهن الثقافى والاقتصادى والاجتماعى المتميز، أما من بقيت فى اليابان، فقد اضطرت لعمل علاقة غير شرعية مع رجل متزوج بالفعل، حيث لا تعرف تقاليدهم الدينية أو الاجتماعية هناك فكرة الزواج الثانى.

وبعضهن عشن فى وحدة قاسية، تم استثمارها ماديًا من جهة بعض الشركات التى تنتج وسادات إسفنجية ذات شكل خاص، يسمونها «الحضن الصناعى» وتسوق لبيعها بين أولئك الذين يعيشون دون شريك، على أساس أنها تساعد على الإحساس بالدفء العاطفى، وتعين على النوم الهادئ.

وفى خضم هذه المسخرة الإنسانية العالمية النسوية، شددت المؤلفة اليابانية على البنات ضرورة الصمود والتمسك بحلم الزواج السعيد، والاعتناء بالمظهر والسلوك الإنثوى الناعم الرقيق «إذ ربما.. عل وعسى»،

وأكدت فى الكتاب ذاته، أن العولمة الأمريكية، هى سبب كل المشاكل الاجتماعية فى البلاد الشرقية المحافظة، ذات التقاليد الراسخة التى تحترم الحياة الأسرية، وتنبذ فوضى العلاقات غير الشرعية، سيان فى ذلك مصر واليابان.

عندك حق والله يا أختى.. أمريكا هى سبب كل المصايب.. هى اللى كبرتها فى مخ الستات، اشى مساواة وحرية، واشى استقلال مادى ومدنية وعصرية وثقافة ابصر إيه، لحد ما الرجال ارتاحوا على كده، واشتروا دماغهم ع الآخر، واحنا اللى اتوحلنا فى النهاية.

وحياتك ما فى واحدة أعرفها، أو بنت من صحباتى إلا وبتشتكى أمر الشكوى من جوزها أو خطيبها أو المحروس اللى بتحبه.

كلهم فيهم «ديفوو» أو زى ما تقولى كده الواحد منهم شكل الشراب النايلون من أقل حاجة «يمز» و«يكر» وما يخدش غلوة فى إيدك، ولايعمر معاك موسم على بعضه!.

والناس بقت غريبة.. نسيت نفسها ومشيت ع الموضة بيتزا وآيس كريم، واللى معاه قرش يسوى قرش، ومقضينها سندوتشات، وجرى، وهاى.. باى وبينا موبايلات.

ماله محمد فوزى وكمال الشناوى وعماد حمدى؟ وعيبها إيه أيام تيزة ونينة وخد فلوسك يا باشا، أنا حبى طاهر شريف.. إذًا.. فليكن؟!

كنا زمانا قاعدين، متستتين ومتدلعين، ويجى ابن الحلال نطلب ونتشرط، ونحتار، ونغنى حبك نار، قطعت العولمة والرجالة النص كم فى ساعة واحدة، وألف رحمة ونور على «وش القفص».

• «سم كده...»

أما والله حاجة غريبة خالص.. جرى إيه يا شاطر منك له.

ملمومين على إيه وبتقروا صفحتنا ليه؟ عيب.. اختشى.. أنت ما عندكش أخوات بنات؟

طب بلاش.. أنت ما عندكش خبر إن دى بالذات صفحة مرأة، ومكتوب عليها الشعار بالبنط العريض «الرجالة ماتوا فى الحرب»

طب اعمل إيه يا ربى أكتر من كده؟ هش هش.. بالله أنت وهو.

مش عايزين زحمة ومش ناقصين وش.

وسع طريق للى طالع، وحبة كده عشان النفس، الدنيا حر والواحدة مش طايقة نفسها.

حقيقى الرجالة دول يا بااى، مافيش فيهم فايدة من يوم ما عملنا الصفحة دى و٩٠٪ من الجوابات اللى بتوصلها من الجنس الخشن.

- واحد يقوللى أنا من اللى ماتوا فى الحرب.. أنا شبح «عووو»، وهو طبعًا عارف نفسه دلوقت.

وواحد من غير ذكر أسماء، اسمه «أحمد سعيد» وعامل ع النت موقع «تخاريف مصرية»، وقال إيه معجب ولهان ومتابعنى من زمان «طب يا سيدى آنست» وكمان باعتلنا موضوع مساهمة كوميدية لصفحتنا النسوية «طب يا عم نجاملك فى الأفراح» لكن اللى فعلاً فاجئنى وحز فى نفسيتى، وجرح مشاعرى الرقيقة، إن المساهمة اللى بعتها الأستاذ، موضوع تريقة على صاحبات اللدغة فى حرف الراء، ممن يقولون «يا يوح قلبى» ويغنون «سابنى وياح يا هوى.. كلى جياح م الهوى» والبيه طبعًا مش عارف أنى أنا بالذات بقى، لدغة فى الراء «نشنت يا فالح»؟.

أما محمد فوزى.. من محافظة المنيا، مركز العدوة، فهو صعيدى أصيل، وصف نفسه بأنه صديق الصفحة ويحب جدًا قراءة أمثالها الشعبية، وهو لفرط حبه وإعجابه بالأمثال الشعبية ينهى رسالته بمثلين من تأليفه فيقول: خفى ع الرجالة حبه تزيدى محبة.. واكتبى عليا، تاخدى عنيا. والله لولا إنك من المنيا، وأنا م المنصورة، وفيه بين المحافظتين معاهدة عدم اعتداء، كنت قولتلك «أبو زنة عشمان فى دخول الجنة».

نيجى بقى للأستاذ محمد جلال الذى يفضل الاتصال التليفونى المباشر، وهو أول من أرسل لنا رأيه فى الصفحة ومواضيعها منذ العدد الأول وأخيرًا كلمنى ع الخط الساخن فى الجورنال، تعرفنا واتشرفنا، عنها وهاتك يا أسئلة، إنتى منين؟آنسة ولا مدام؟ خريجة سنة كام؟.

هواياتك إيه؟ وبتسهرى فين؟

جرى إيه يا أستاذ.. إنت فاكرنى مين؟ لأ لأ مش أنا اللى يتقالها بتسهرى فين.

قبل أن أكمل ضحك الأستاذ محمد وقال: يا بنتى أنا عندى ٦٠ سنة و ٥ عيال بس أنا كده عامل نفسى شباب واحب أهزر، وعارفكم يا بنات اليوم تحبوا الخبرة والشعر الأبيض، بس أرجوكى أنا متجوز وفى حالى، بلاش معاكسة اعملى معروف...

شوفى ياختى الرااجل؟ حد كلمه... حد جه ناحيته؟ هو اللى جاب الجورنال ونمر التليفونات واتصل وبعدين جاى يتصلبط علينا.

قلت له: طب اسمع يا أستاذ جلال، أنا عندى قرشين فى بنك أجنبى، وعايزه أحطهم عندك فى البنك وتشوفلى كده مشروع كويس أشغلهم فيه.

سألنى: المبلغ كام بالظبط؟

قلت له: ٤٠٠ جنيه.

ومن يومها ما سمعتش صوته، شايفين؟ مش قولتلكم «ماتوا فى الحرب»!!!.

• «محدش بياكلها بالساهل»

حيث إنى ست بيت ممتازة.. أعشق «الشوبنج»، وأدمن الشراء، وأفضل الوجبات السريعة، والأطعمة النصف مطهية، والفراخ النصف مقلية، وأحبذ علب التونة، وطهى المكرونة وأجيد تقطيع قالب «السويسرول» الجاهز، وتقديم العصير سهل التحضير، لذا تعودت من حين لآخر، ومن آخر لحين، أن أذهب لذاك السوبر ماركت الكبير الشهير، الذى يقع فى نهاية شارعنا العريض المزدحم، لأشترى خزين الشهر ومستلزمات البيت، شاى، زيت سكر، مسحوق غسيل،خضار مجمد.. شامبو.. عيش، الأمر ما يسلمش.. كله ماشى، ومفيش حاجة هاتخسر، صحيح فيه حاجات غالية شوية.. لكن زى بعضه ما تغلاش عليا!

ديك النهار (ولو إننا ساعتها كنا الساعة ٨ بالليل) ذهبت كالعادة، لشراء ما يلزم من سلع غذائية واستهلاكية غير معمرة، بعضها للعشاء فى السريع المستعجل، وبعضها بهدف عمل مخزون

أمنى غذائى استراتيجى على أرفف الثلاجة أو داخل دولاب المطبخ.

وبينما أنا أتمشى فى أروقة السوبر ماركت، وأتفقد ثلاجة العرض المفتوحة، حيث الجبن بأشكالها وأنواعها، والرايب المعلب والرنجة المحفوظة والزبادى بالفاكهة والكفتة والرز، والهامبورجر بفول الصويا.. طقت فى دماغى أن أستفيد من ذلك العرض السخى، وأشترى علبتين لبن بسعر علبة واحدة، كما هو الإعلان المكتوب، على ورقة الدعاية الشفافة التى تحزم العلبتين معًا فى لفة واحدة، وقبل أن أضع العلبتين فى العربة المتحركة أمامى وأمضى قدمًا، اعترضت طريقى سيدة أنيقة مهذبة، وبادرتنى بقولها أنا آسفة.. أنا طبعًا مش من حقى أتدخل.. بس كنت عايزة أسألك.. حضرتك عندك أطفال؟

- أجبتها فى لهجة السؤال: لا.. اشمعنى.. بتسألى ليه؟

- أكملت بصوتها الهادئ: معلهش اسمحيلى.. أنا عن نفسى ما بحبش اللبن من النوع ده بالذات.. عليه مواد حافظة، ومتصورة أنهم عاملين العرض ده، حيلة تسويقية للبيع وخلاص أى حاجة راكدة عندهم، ينزلوا عليها عرض عشان يضحكوا ع الناس، ويكسبوا بأى شكل.

تصنعت ابتسامة خفيفة وأنا أهز لها رأسى وأعيد علب اللبن مكانها وأقول لها: والله عندك حق..

بعدها وجدت نفسى فى قسم الصابون والمنظفات ومساحيق الغسيل وقبل أن تمتد يدى لتقبض على زجاجة الشامبو المقصودة وجدت نفس السيدة فى مواجهتى، فابتسمت مجددًا فى وجهها (على أساس أنها معرفة قديمة)، فإذا بها تقول معلهش أنا آسفة.. مش قصدى أتدخل.. بس الشامبو ده أمريكانى، وإنتى شايفة الأمريكان طايحين إزاى فى المسلمين والعرب.. إنتى حرة طبعًا بس أنا عن نفسى مقاطعة كل البضائع الأمريكية من أول يوم فى ضرب العراق.

أجبتها مرة أخرى بابتسامة شكر عميق وامتنان واسع أن أنطق بحرف، أعدت الشامبو مكانه، وأنا أتفحص عن بعد اسمه وبلد المنشأ، ثم أهززّ رأسى وأرفع حاجبى من هول المفاجأة: فعلاً أمريكانى.. تصورى.. ماكنتش واخدة بالى خالص!! ثم أكملت المسيرة بين البضائع والمعروضات لكنى - وحدى ومن نفسى كده - أبديت التحفظ الواجب، على شراء الشاى الإنجليزى، بالغيظة فى «تونى بلير» وانتقامًا من السياسة البريطانية الموالية لجورج بوش، وامتنعت عن شراء مسحوق غسيل ألمانى، اعتراضًا على تعاون «هيرالد شرودر» مع البيت الأبيض وتسخير المستشفيات الألمانية، لاستقبال وعلاج جرحى الجنود الأمريكان فى حربهم ضد المقاومة العراقية.

والشيكولاتة السويسرى، غالية، ثم إن سويسرا تجمد الأرصدة العربية كلما قامت زوبعة هنا أو هناك، واليابان متواطئة (الله الغنى عن أدوات المطبخ).

والهند معاك معاك.. عليك عليك (مش عايزة بهارات) وهولندا.. إللى يتجوز أمى أقوله ياعمى (مش عايزة سمنة) ونكاية فى بيرلسكونى عدو العرب، مش عايزة أى شىء إيطالى وبناقص المكرونة كمان، والدنمارك أساسًا بضائعها غير موجودة فى أماكنها المعتادة صاحب السوبر ماركت شال كل الشيكولاتة الدنماركى من فوق الرفوف ووضع مكانها يافطة «فداك أبى وأمى يا رسول الله»! فجأة تلفت حولى، واستعرضت من جديد، مختلف أنواع الجبن الأجنبية والكفيار المستورد والخضار المجمد. كلها وارد أوروبا. والمعلبات المحفوظة والسمك المدخن والحساء المجفف. وارد شرق آسيا. العالم كله يكرهنا.. ماذا سأشترى؟ إنها مؤامرة!!.

توجهت على الفور إلى قسم الحلوى الشرقية (طظ فى الرجيم) طلبت من البائع أن يلف لى نص كيلو تشكيلة زلابية ورمش الست وصوابع زينب.. وقبل أن أكمل، فجأة ظهرت السيدة إياها، وعادت تقول بصوتها المهذب: معلهش.. مش عايزة أضايقك.. بس الحلويات دى بايتة مش طازة، فيه فرن قريب على اليمين بعد ما تخرجى بالضبط بيبيعها طازة وأرخص كتير.

- أجبت كالعادة صح.. صح عندك حق.

- قبل أن أخرج توقفت عند ثلاجة الفاكهة وفكرت أن أقضيها الليلة «جبنة وبطيخ» لكنى قبل أن أقبض على نصف البطيخة المقطوعة وملفوفة بسلوفان أمامى، وأضعها فى عربة الجر الفارغة بين يدى.

عادت السيدة المخلصة تقترب منى فى ود، وتعلق فى أدب: مش عايزاكى تزعلى منى إنتى حرة طبعًا.. مش قصدى أتدخل.. بس ما لضمنيش البطيخ لما يتفتح ويتقطع «بيفتل» ويدبل كده، ومش صحى يعنى.. إنتى فاهمة طبعًا.. الميكروبات والصيف والأمراض، اشترى بطيخة مقفولة على بعضها من الفكهانى أحسن.

ساعته لذت بالصمت وحاولت مط شفتى على سبيل القبول والشكر، لكنها كانت ابتسامة بأس لزجة وسئيلة للغاية، لم تبددها عن ملامح وجهى، غير صدمة الدهشة وفمى الذى انفتح فاغرًا، وأناأقف عند ماكينة الحساب وأدفع ثمن علبة زبادى وباكو بسكوت (صنف محلى - صنع فى مصر) بينما على الصف الموازى أمام ماكينة حساب أخرى، تقف نفس السيدة المهذبة الناصحة، تدفع ٤٥٠ جنيهًا ثمن مشترواتها المهولة من الألبان والأسماك واللحوم والحلوى والمعلبات المستوردة (!!!).

• «بس أنتى قولى يا رب»

أذاعت وكالة أنباء كوالالمبور، أن المواطنة الماليزية «زبيدة» البالغة من العمر ٧٨ عامًا، عثرت أخيرًا على فتى أحلامها. الذى استطاع وحده إرضاء غرورها ونيل رضاها والفوز بموافقتها على الزواج منه بعد سنوات شبابها الغالية، التى انقضت وزبيدة مصرة على موقفها «ماخدوش يا بابا.. ماخدوش يا بابا» حتى وصل الأستاذ جعفر (وهو أرمل وعنده ٤ أولاد و ٢١ حفيدًا صغيرًا) وكلمة ونظرة عين والقسمة وياهم جمعوا سوا قلبين والحب هناهم!

وقد علقت العروس لوكالات الأنباء، على خبر زفافها السعيد بكلمة حكمة، لم يُعرف من أين أتت بها طالما أنها ولدت وتعيش حتى الآن فى ماليزيا ولم يسبق لها ركوب الميكروباص فى شوارع القاهرة أو متابعة عربات النص نقل على طريق مصر - إسكندرية الصحراوى فقد قالت زبيدة بابتسامة خجولة لمندوب وكالة الأنباء «لا تتعجب.. إنها إرادة الله». وهو ما يمكن أن يكون فى نفس الوقت

التعليق المناسب وربما الوحيد، على حادث الزواج الملكى السعيد للملك تشارلز، من عشيقته اللافلى «كاميلا» التى يكرهها الشعب من كل قلبه، ومن أعماق معاميقه ومع ذلك تشارلز لم يبال وفى حبها عمل اللالى وكتب على الطرحة التلى، يا صلاة الزين.. يا صلاة الزين يا رب خللى!

«عائشة الكيلانى» سبقت الجميع فى إثارة علامات الاستفهام والتعجب حين ظهرت جنبًا إلى جنب مع ليلى علوى فى مسرحية «البرنسيسة» وكانت تؤدى دور العانس النحس المنفرة التى تتمنى الزواج دون أمل، وهنا لعب القدر لعبته، وأعجب بها محاسب كان يجلس فى مقاعد المتفرجين فى أحد العروض، وتقدم للزواج منها معربًا لها عن عظيم احترامه وحبه.

حينها طلبت عائشة مهلة للتفكير، وبعدها وافقت وأمرها لله، ومن يومها وهى مدام بينما احتفظت ليلى علوى بطلة المسرحية وحتى الآن بلقب «مودموازيل من فضلك»!

«سى لافى» يا أختى، هى الدنيا كده قسمة ونصيب، فلا تتعجبى ولا تيأسى من رحمة الله، فرجه قريب، بس إنتى قولى يا رب واللى جوز عيشة وكاميلا وزبيدة قادر كريم يجوزك.

• «البرج اللى فاضل»

.الجدى: لا تشغلى بالك بذكريات الماضى واحرصى على النوم الهادئ حتى لو كلفك ذلك تنجيد المخدات المكمكمة أو شراء حصيرة جديدة.

.الحوت: الطب اتقدم يا حبيبتى، عالجى نفسك سريعًا من عقدة الاضطهاد، وتجنبى الحكم على الأمور بنظرية المؤامرة.

.العقرب: أسبوع سعيد عليكى وعلى أهلك ستغيرين العتبة القديمة، وربما يصبح عندك شقة جديدة فى حى راق، تدفعين ثمنها بالتقسيط، أما عن شهرية البواب فربنا يعوض عليه.

.الميزان: أسعد أيامك يوم الجمعة (لأنه إجازة) ورقم حظك ٢٩ بشرطة (لأنه بيروح المعادى)، ومولودك القادم سيكون قدم السعد عليكى وعلى أسرتك، سَمِّيه «عكاشة»، وإن طلعت بنت سميها «عيشة».

- الحمل: خناقة حامية الوطيس مع واحد مستركم ومستتك وخيره عليكى.. لكنها لن تؤدى إلى قطع العلاقات الاقتصادية.. بختك كويس يا مضروبة.

- الثور: تحصلين على عمل لو كنتى من العاطلين وتتزوجين لو كنتى «لامؤاخذة عانس»، وسينقص وزنك ويخف دمك حتى لو كنتى «ما تآخذنيش فى الكلمة» طروبش وفشة ودمك يلطش!

- السرطان: نكد مؤقت بسبب مزء طويل فى شرابك «الفيلى» أو نتش واضح فى فستانك الدانتيل، أو مزع مروع فى كم بلوزتك الوردى الجديدة، عليكى وعلى «الرفا» اللى تحت بيتكم، وإلا فنادى على بتاع الروبابيكيا وبدليهم بطشت بلاستيك ينفعك.

- الأسد: رسالة مهمة من مكان بعيد (محتوياتها خطيرة) اقرئيها على انفراد طالما واثقة من نفسك ومعاكى الإعدادية القديمة.

- الجوزاء: حرام عليكى.. ده خامس عريس يطفش منك، لازم تخسى على الأقل ٦٠ كيلو وأحسن وصفة لإنقاص الوزن تمشى فى مظاهرات «كفاية»!

- العذراء: ماتقلقيش يابنتى.. العريس جاى فى السكة بس إنتى عارفة الريس معدى وصلاح سالم واقف هانعملك إيه حظك كده زى آخر الشهر.

• «تليفون مع أحمد رجب»

أخيرًا قابلت الرجل الذى أعطانى على الملأ اسمه وماله عن طيب خاطر، فوجدت قلبى يدق ويخفق على موسيقى حروف اسمه «أ ح م د.. أ ح م د.. ر ج ب.. ر ج ب».

يومها شعرت إن القدر أقوى منى ومنه، وإن شيئًا ما داخلى يدفعنى، وينسينى خجلى وترددى، ويوعز لى بشىء غريب كأن أكلمه وأقابله وأعرض عليه بنفسى فكرة الارتباط للأبد.

كلمته بثقة وحرارة: مساء الخير يا أستاذ أحمد.

- رد بحذر: أهلاً مين؟

- أنا جيهان الغرباوى اللى.....

- أهلاااا أهلاااان.. عارفك يا ستى طبعًا إنتى اللى خدتى فلوسى..

فيه واحد ينسى واحدة أخدت منه ٥٠٠٠ جنيه بحالهم؟ ألف مبروك ع الجايزة يا ستى.

ضحكت وقلت له: إنت لطيف قوى.. بصراحة ماكنتش فاكراك كده.

- ليه بقى قالوا لك عليا بأعض الناس.

لا.. بس كنت فكراك انطوائى ومش بتحب الناس وحاجات زى كده يعنى.

- عشان تعرفى إنك ظلمانى.. أنا بس مشغول جدًا، وما عنديش وقت للمقابلات والتليفونات وزمان لما كنت بأعمل حوارات مع صحفيين صغيرين فى بعض الجرايد كانوا بيحرفوا كلامى، ويقولوا على لسانى كلام ما قلتهوش فقررت ما اعملش حوارات فى الصحافة تانى أبدًا.

• بس أنا طبعًا حاجة تانية، وها تقابلنى وتعزمنى على شاى وجاتوه.

تردد قليلاً ثم قال: إنتى مواعيدك إيه فى الأهرام؟

• ماليش مواعيد محددة أصلى عاملة فيها كاتبة كبيرة وباتدلع بقى.

- إنتى كاتبة كبيرة يا بنتى فعلاً بس لازم تستمرى.. الجايزة دى مجرد بداية، والطريق لسه طويل.

• لا يا سيدى خلاص.. أنا زهقت، أنا عايزة أتجوز وأجيب عيال وأعمل بيت وأسرة وأسيب الشغل خالص.

- ليه يا بنتى كده.. الجواز والعيال جايين جايين لكن الكتابة حرام تسيبها، ثم إنتى باين عليكى دمك خفيف، خسارة تتجوزى عليكى كده أحسن.

• لأ والنبى سيبنى اتجوز.. أنا ما صدقت لقيت الراجل المناسب اللى كنت بادور عليه من زمان.

- ومين ده يا ستى إن شاء الله؟

• إنت.. حضرتك يعنى.. إنت اديتنى اسمك «جايزة أحمد رجب» لأحسن كتابة ساخرة».

- وادتنى فلوسك (٥٠٠٠ جنيه صافى بدون ضرائب) والراجل اللى يدى لواحدة ست اسمه وفلوسه علنًا وعن طيب خاطر يبقى أسهل حاجة عليه يتجوزها.

والله برضه وجهة نظر.. بس سيبينى أفكر، وأدور على مأذون كويس وقريب وابن حلال.

• انت لسه هاتفكر وتدور، مش كفاية اللى أنا شيفاه ومستحملاه من يوم ما أخذت جايزتك وأنا عماله أصرف فلوس ع الفساتين والبلوزات والإيشاربات عشان مقابلات المسئولين والمعجبين ولقاءات الإذاعة والتليفزيون والقنوات الفضائية.

- إنتى كمان بتطلعى فى التليفزيون والقنوات الفضائية؟!

• طبعًا.. أكيد.. وباتكلم عنك كتير.. إنت ما شفتنيش على الأوربت والنايل تى فى؟

- إنتى فكرانى مقطوع للفرجة على التليفزيون طول النهار يا جيهان؟

ثم أنا أساسًا مش مشترك فى القنوات دى.. ادفعيلى فلوس الاشتراك عشان أشوفك بعد كده.

• وأنا أجيب فلوس منين لكل ده؟ دانا حتى بافكر أتبرع بالخمستلاف جنيه كلها لوزارة التربية والتعليم عشان أعمل جايزة لرعاية الموهوبين ولأحسن صحافة مدرسية فى المرحلة الإعدادية.

- والله فكرة ممتازة...

• كان عندى أمل ما تعجبكش الفكرة، أقوم أوفر التبرع وأصرفه على عربيتى المخبطة، اللى لوشفتها تعرف إنى برضه يجوز عليا الصدقة؟

- رد وهو يضحك. لا يا جيهان الفكرة حلوة.. اتبرعى بالفلوس كلها وبكره هاتجيلك فلوس تانية وتنزل على رأسك زى المطر.

وما تقلقيش.. أنا كمان زمان كان عندى عربية قديمة، رحت أغير لها الزيت، الراجل بتاع البنزينة بص لى «بصة كده» وبعدين قال لى: زيت إيه يا أستاذ اللى إنت جاى تغيره؟ إنت محتاج تغير العربية كلها!!!

• طب وهانعمل إيه فى موضوع جوازنا؟

- إنتى قولتى إنك من المنصورة وأنا عارف بنات المنصورة حلوين وشعرهم أصفر وعنيهم زرقا.

• لأ حرام.. لازم أكون صريحة معاك من الأول.. أنا عينيه عسلى.

- زى بعضه.. العسل مش بطال وبينفع فى البرد ع الريق، لكن فرق السن بينا كبير يا جيهان و «اتزتوليت» بالنسبة لى خلاص.

• ولا توو ليت ولا حاجة «ألبرتو موراڤيا» الكاتب الكبير العالمى الشهير، اتجوز بنت صغيرة زى القمر وفرق السن بينهما ماكنش ليه أى أثر.

- بس أنا مش «ألبرتو موراڤيا» أنا «ألبرتو رجب»، واسمعيها منى كلمة، أنا زى الملوك والرؤساء.. ماليش مستقبل!

• أرجوك ما تتسرعش فى الرد، خد فرصتك وفكر، أهم حاجة دلوقت تعزمنى فى مكتبك على شاى وجاتوه ونتفاهم فى الموضوع ده بعدين.

- بصراحة ما عنديش وقت خالص طول الأسبوع ده.

• يا سلام؟! كل ده عشان تكتب «نص كلمة»؟ دا أنا مقالى فى الأهرام ٧ عماويد جنب بعض ومع ذلك عندى وقت أقابل كل أصحابى.. ثم إنت خلاص اتشهرت واستقريت مهنيًا لكن أنا اللى محتاجة كل دقيقة فى وقتى لأنى فى مرحلة نمو لسه ومع ذلك عاملة زى الست أم كلثوم، وعمالة أغنى ها قابله بكره.. وبعد بكره.. وطول النهار بافكر فى ميعاد مقابلتنا التاريخية.

- خلاص يا بنتى.. منطقك قوى وأقنعتينى هاكلمك بالليل عشان تبقى مكالمة رومانسية وأكون شفت ميعاد مناسب إن شاء الله.

لم يكلمنى الأستاذ أحمد رجب من يومها لا بالليل ولا الصبح، ومن ساعتها وأنا أغنى أغنية الست أم كلثوم «أنا فى انتظارك.. مليت.. ياريتنى.. يااريتنى.. ياريتنى عمرى ما حبيت»!

• الحاجة أم الاختراع

من أجل طبق مكرونة سخن وعلى وشه صلصة حمرا وشوية جبنة رومى مبشورة، باع الخديو توفيق قناة السويس للمهندس الفرنسى ديليسبس.

وبسبب وليمة عشاء فاخر، عامرة بالمشمر والمحمر بالسمنة البلدى المرملة «والطبيعى يكسب»، استطاع محمد على الكبير أن يجمع كل أعدائه فى مكان واحد، ويتخلص من المماليك فى مذبحة القلعة.

وهكذا الحال ياعزيزتى على امتداد التاريخ ومنذ الأزل، الطعام هو كلمة السر ومفتاح القفل «اسم الله على مقامه جوزك»، وسلم الوصول لكل هدف بعيد وكوبرى العبور لكل أمل عنيد، وعلامة الاحتفال بتحقيق الحلم السعيد.

لذا ولذلك وبعد هذا كله، أوعى تتنازلى عن دورك فى المطبخ، ولاترفعى الراية البيضاء سريعًا أو تستسلمى بسهولة لخيبتك

التقيلة وخبرتك القليلة التى قد تتسبب فى بلاوى كثيرة إن لم تتقذى نفسك بهذه النصائح.

١ ـ لو طلع ملحك فى الأكل كتير، وجاءت الطبخة الأخيرة «مش» أوعى تدلقى الحلة فى الحوض يامتسرعة يامتهورة ياضعيفة الأعصاب، يامحدودة الفكر والخيال، أمال السكر عملوه ليه؟

ضعى مقدارًا من السكر الأبيض الناعم، وقلبى الطبيخ فوق نار هادئة، ستجدين أن طعم الملح الزائد اختفى وتعادل تمامًا مع السكر المضاف، وكأنه «سحر ـ ماجيك» رغم أنها معادلة كيميائية معملية بحتة وكل الشكر للكيمى كيمى كا.. والكيمى كيمى كو.

٢ ـ الرجال تحب التجديد، لذا احرصى على الابتكار والمفاجآت وتقديم عصائر «روشة طحن» بين أطباق مائدتك مثل عصير الحرنكش والتين الشوكى والمانجة بالبطيخ.

وللعلم كلها عصائر موضة شبابية منعشة تقدم بأعلى الأسعار فى محلات المولات الكول، مع الشاليموه والثلج المجروش وحبة حركات.

٣ ـ لو طب عليكى ضيوف وعايزة تعملى فيها ست بيت ممتازة وتقدمى طبق حلو بيتى من عمايل إيديك وحياة عينيك عليكى وعلى أبو عادل البقال اللى تحتك. خليه يبعتلك ٥ باكو كيك بالفراولة من بتاع العيال الصغيرين، قشريه وتخلصى من غلافه من شباك المطبخ وقطعيه على أساس أنه «سويسرول» لسه طالع من الفرن طازة.

وممكن يبعتلك علبة جيلاتى حجم عائلى توزعيه فى أطباق الكريستال الغويطة، وتنثرى على وجهه نص معلقة كاكاو أو زبيب أو حبة عنب فرط وبعض قطع صغيرة من أى فاكهة بايتة عندك فى الثلاجة، وياسلام لو تعملى ع الوش خطين سرسوب عسل، من المعبأ جاهز فى علب الكريم كرامل النصف جاهز، وهاهو بين يديك الآن: آيس كريم بالفروت سلاط تصورى؟

• أميرة وطيبة وبنت حلال

ولدت وعاشت فى قصر العائلة المالكة، بين المروج الخضراء، من هنا أناناس، ومن هنا جوز هند وفى الوسط بلدهم ذات موقع دولى استراتيجى مهم (بالبلدى كده على ناصيتين) من هنا أمريكا ومن هنا اليابان. أما البلد نفسها فهى هاواى الواقعة فى المحيط الهادى وشهرته عند الخواجات الباسيفيك.

وقد كانت الأميرة «اليلى.. كوا» هادئة مثل محيط بلدها، نصف اسمها الثانى بمعنى الماء الأزرق المالح، واسمها كله معناه «الطريق إلى المحيط» هذا بلغة هاواى التى لاتحتوى أكثر من ١٢ حرفًا أبجديًا، أما فى لغتنا نحن ذات الـ ٢٨ حرفًا، ماشاء الله فيمكن أن يكون معنى اسمها حركيًا وحرفيًا «سكة اللى يروح مايرجعش»!

من يتأمل صورها الأبيض وأسود المعلقة هناك فى المتاحف وأفخم الفنادق يتأكد أنها لم تكن ذات نصيب وافر من الجمال ولم

لكن فاتنة أنيقة تثير الرجال، لكن الجميع يؤكد أنها كانت امرأة مثقفة، وشاعرة مرهفة وأميرة محبوبة من شعبها تأمر فتطاع وهو ده اللى ودا البلد فى داهية!

مصيبة الأميرة «اليلى ـ كوا» أو سكة اللى يروح مايرجعش، أنها كانت طيبة جدًا ومسالمة جدًا، وأحيانا إلى درجة تغيظ لذلك عندما تلكك لها الأمريكان (وإنتو عارفين بقى أمريكا وتلكيكها الفارغة) ودخلوا بلادها سنة ١٨٩٣ بحجة حماية رعاياهم فى الهونولولو احتج شعب هاواى الثائر من المحيط إلى مروج الأناناس، لكن الأميرة «سكة اللى... » نصحتهم بالهدوء وضبط النفس، ونددت بالمظاهرات ومثيرى الشغب، الأمر الذى طمأن قلب أمريكا الكبير فتقدمت أكثر وأكثر، واستولت على البلاد بالكامل، وحددت إقامة الأميرة «سكة اللى» فى قصر الحكم الفخيم «عل وعسى ينفعها!» ثار الشعب مرة أخرى واستعد لحرب تحرير الأرض ضد الاحتلال الأمريكى الغاشم، لكن الأميرة «سكة اللى مايرجعش» عادت تطلب من شعبها الحبيب نبذ العنف بحجة أنها ليس عندها قوة أو سلاح يعينها على حرب أمريكا.

عندها برطع الجنود الأمريكان فى الهونولولو وعاثوا فى هاواى فسادًا.

وتحت شعار «شيل يابا.. دول عالم سكة» استولوا على البلاد والحكم معًا، ومن يومها صارت جزر الهونولولو ولاية أمريكية ورفرف على هاواى العلم الأمريكى رسميًا!

صحيح أن أهالى هاواى الأصليين مازالوا حتى اليوم يطالبون بالاستقلال، ويرفعون قضية على أمريكا فى محكمة العدل الدولية، لكن المحاكم وإنتو عارفين حبالها طويلة.

آخر مرة زرت فيها هاواى عام ٢٠٠٥ وهى بالمناسبة كانت أول مرة برضه.

وجدت هناك ٤ قواعد أمريكية عسكرية، لها دور أساسى فى الحرب على العراق، وقتها تذكرت الأميرة الطيبة «اليلى ـ كوا» وطلعت راسى ودعيت عليها: منك لله يا «كوا» وجاتك نيلة فى عبطك وخيبتك التقيلة.

طمعتى فينا الأمريكان، وودتينا كلنا «سكة اللى يروح مايرجعش»!!!

• الإصلاح والتغيير

والنبى ياحبيبتى إحنا زيك بالظبط.. عندنا نفس الأمل فى التغيير ولدينا نفس الإخلاص نحو التقدم والإصلاح، لكن هانقول إيه؟ آدى الله.. وآدى حكمته، الراجل ده بالذات مفيش منه فايدة، ولا من وراه رجا،.. إيدك منه والأرض، المقصود طبعًا هو الأستاذ جوزك أو حتى المحروس اللى بتحبيه وحطة عينك عليه.

وفى ذلك يقول د. جاى كارتر صاحب كتاب «رجال سيئو الطباع» نادرًا مايتغير الرجل سيئ الطبع، ذلك لأنه مامن دافع يحمله على التغيير، ويبدو أن هناك دائمًا من يتحمل الإهانة والعدوان، لكن هذا الشخص لايجب أن يكون أنت، يعنى إذا كنت متورطة فى علاقة مع رجل يحقر من شأنك، فمن الأفضل أن تفحصى موقفك وخياراتك. ولا تؤجلى اتخاذ قرار اليوم إلى الغد، أخرجى الرجل سيئ الطباع من حياتك طالما أنه يحقر من شأنك ويسيطر عليك،

ويمكنك أيضًا أن تهددية بأنك سوف تعلنى موقفك على الملأ، وتأكدى من أن لديك احتياطيًا استراتيجيًا يؤمن أفعالك المزمع تنفيذها «لو عصلج معاكى».

ومع هذا هناك قاعدة نفسية واقعية ذهبية احفظيها عن ظهر قلب، وكرريها قبل وبعد الأكل وضعيها نصب عينيكى بالبنط الأحمر العريض، (لا أحد يتغير) كررى: لا أحد يتغير.

يعنى مثلاً لو زوجك كان مدخنًا فلن يتغير ذلك بعد الزواج لأجل خاطرك، وتحت تأثيرك ولو كان يعاقر الخمر، فلن يتوقف عن ذلك بعد الطفل الأول، ما الحل إذًا؟

الحل هو التغيير، ولكن تغيير من؟

تغيير نفسك، غيرى نفسك وذلك هو بيت القصيد ونقطة الانطلاق وتلك هى الخطوات:

١ ـ اجعلى حوارك معه خاليًا من نبرة التأنيب خاليًا من الأوامر والشكوى والمقارنة بالآخرين.

٢ ـ ثقى بنفسك ولا تخافى من مواجهته أو مناقشته فى أى أمر، طالما أن ذلك سيحدث بالطريقة المشار لها سابقًا.

٣ ـ لو كنتى شخصية معطاءة، تجملى بشىء بسيط من الأنانية وحب الذات فالعطاء المفتوح الدائم «عمال على بطال» سوف يكون إسرافًا مضرًا بعد فترة، لذا ياحبذا لو تتحرى معاملة نفسك بنفس الرعاية والحب التى توليها للآخرين.

٤ ـ عودى بالذاكرة للمواقف التى استطعتى أن تنجحى فيها ببراعة وتحقيق ماتفخرين به الآن، وثقى أنك قوية وقادرة على المواجهة والإنجاز والتأثير على الآخرين.

٥ ـ تكلمى بنبرة تأكيدية وانظرى فى عينيه أثناء ذلك وكررى العبارات المهمة حتى يفهمها، وأصرى «على موقفك دون حدة أو تهديد أو صراخ أو عنف».

٦ ـ لا مانع من بعض وسائل التأثير الأنثوية الناعمة مثل: النظرة والبسمة واللمسة وأعرفى شغلك معاه بقى.

٧ ـ وأخيرًا: لاتبرري لنفسك سلبيتك وسكوتك عن حقك، على أساس أنك حنينة ومسكينة وبنت ناس طيبين، ولاتتوقعى أن هذا مع الوقت سوف يشعره بالذنب بل تأكدى أن مثل هذا التصرف سوف يأتى بنتائج عكسية تمامًا، فالرجال ياعزيزتى غالبًا لايشعرون بالذنب وأحيانا وللأسف لايشعرون خالص.

• ضرب الحبيب
اعوج نى مناخينى .. وطيرلى تف ثنانى

أثناء نزولهما على السلالم، سمع الصديقان، استغاثة مختنقة وعويلاً مبحوحًا من مكان قريب يستجدى المساعدة والإنقاذ من أى عابر سبيل.

نظر الرجلان لبعضهما البعض، ثم اقترح الأول أن يقتربا أكثر من مصدر الصوت، وعندما وافقه الثانى، اكتشفا أن الصوت المستغيث المستجير، لامرأة تسكن على مايبدو فى نفس الطابق والشقة التى كانا يمران بها وقتها.

عندها اتفقا على المجازفة واقتحام باب الشقة مصدر الصراخ الأنثوى المكتوم لكنهما بعد أن دخلا لم يجدا أى إنسان فى المكان.

بعد فترة ظهر الاكتشاف المذهل، حين وجدا مصدر الصوت.. سيدة مكتوفة الأيدى ومكممة الفم، تم حبسها فى الدولاب، بعد علقة ساخنة أعطاها لها صديقها «يعنى البوى فريند بتاع حضرتها» قبل أن ينصرف ويتركها على هذه الحالة المزرية من الإهانة والألم والإعياء.

الغريب أنه قبل إبلاغ البوليس عن الحادث طلبت السيدة «المضروبة» من الرجلين المنقذين، أن يكتفيا بما فعلاه معها من عمل شهم نبيل، وصرخت وهى تحاول أن تميد أنفها المكسور ووضع الثلج حول سحجات عينيها البنفسجية المنتفخة أنها لاتريد أن يلقى القبض على صديقها ويسجن، فهى قد تستطيع تحمل الضرب لكنها لاتستطيع تحمل الوحدة.

(شوفى ياختى الخلل والجنان الرسمى)؟!

هذا وقد تزايدت حوادث ضرب الستات فى فرنسا مثلاً، لدرجة أنهم أصبحوا يذيعون فى التليفزيون، إعلانات توعية على حساب الحكومة توصى الرجل بالست بتاعته خيرًا «سواء زوجته أو صاحبته» على أساس أن كلهن ولايا واللى ييجى على الولايا مايكسبش، واللى يعاملها بالمعروف وما يكسرش بخاطرها، يقعدله فى عياله وإخواته البنات.

وتزايد هذا النوع من الدعاية خصوصًا بعد موت الفنانة الفرنسية الشهيرة «مارى ترنتريان» التى قتلها عشيقها المخمور ضربًا باللكمات فى وجهها حتى لفظت أنفاسها الأخيرة، وأصبحت رمزًا لمعاناة المرأة الأوروبية!

فى المقابل استفز الشعب الفرنسى قرار الرئيس الهادئ اللطيف «جاك شيراك» والذى أصدر عفوًا عامًا عن المسجونين بعد إعادة انتخابه للرئاسة. مع استثناء المسجونين فى جرائم عنف ضد الحيوان، وبذلك أصبحت جريمة الاعتداء بالضرب أو بالقتل ضد المرأة أهون من الجريمة نفسها فى حق كلب شارد أجرب حزين «يعنى جه يكحلها عماها».

وفى نفس الإطار العالمى لضرب الستات وقتلهن بالركل والصفع واللكمات ظهر أن ١٥ ٪ من الإناث فى ألمانيا يتعرضن لاعتداءات جنسية من أشخاص تربطهم بهن علاقات أسرية، بخلاف ٢٥ ألف حالة اغتصاب أخرى لايتم الإبلاغ عن أغلبها بسبب اليأس من إثبات حق المرأة فى كثير من الأحيان وبالتالى يكون الانتحار أمامهن هو الحل الأيسر والأضمن.

أما فى روسيا حيث درجة الحرارة تحت الصفر المتجمد بعدة شرط، توجد ويالللعجب بيوت دافئة حارة، بسبب النشاط البدنى المتزايد لعدد غير قليل من الأزواج الذين «يسكعون» زوجاتهم علقًا ساخنة بلا هوادة ولا ملل على مدار الأسبوع هذا غير ماتتحمله البنات من مضايقات فى العمل، دون أن تنطق أو تحتج تحت ضغط العوز والفقر.

(طب مش أحسن لو تآخد فى وشها وتهج على مصر وتشتغل رقاصة قد الدنيا فى فندق خمس نجوم؟)

حتى السويد، أكثر الدول رفاهية اقتصادية وارتفاعًا فى دخل الفرد تشير الإحصائيات أن هناك مابين ٢٥ إلى ٣٠ سيدة يضربهن الرجال حتى الموت كل عام.

وفى تركيا نشرت مجلة «فيمنست نيوز» يعنى أخبار الستات، إن ٢٠٪ منهن يتعرضن للضرب وقد يتسبب ذلك فى كسر الأنف أو الأضلاع، كما يحدث تمامًا للمضروبات فى بلغاريا وأرمينيا وجورجيا.

أما حريم أمريكا فوضعهن ليس أفضل برغم موضة «حقوق الإنسان» السائدة فى البلد عندهم، فالولايات المتحدة الأمريكية هى الأسوأ فى العالم وهى الوحيدة التى لم توقع على اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة، وفيها تكشف الأرقام الرسمية عن تعرض ٢ مليون ونصف المليون سيدة للعنف الجسدى والتحرش الجنسى بخلاف ٧٠٠ ألف سيدة أخرى من ضحايا الاغتصاب.

إن شاللّه اللى يضرب ست ينضرب فى قلبه وينشك فى حبابى عينيه، رجالة فنس هلس إخص.

• الرجيم القاتل

من يوم ماعرفته وهو قالب كيانى ، ومعكنن مزاجى ومافيش على بالى غيره.

أقوم الصبح أقول ياصباح الرچيم، وعلى آخر اليوم أدوخ وأصدع وأقول معلش الصبر جميل، بكره تخس ياجميل، تمن الرشاقة غالى، ومن طلب العلا جاع الليالى.

لكن بطنى الخاوية تعضنى وتزوم، وأكاد أسمعها تقول: «وأنا مالى يابوى وأنا مالى؟»

لى صديقة رفيعة جدًا، اسمها حنان، وشهرتها «المسمومة»، وقد أطلقت عليها هذا اللقب بسبب عودها الممصوص، وتجنبها الدائم لكل الأطباق الشهية والأكلات اللذيذة، وجميع المقليات والمخبوزات والحلويات.

• سألتها أخيرًا: إيه البتاع اللى أنتى فلقانا بيه ده ياحنان؟

- فقالت لى بتعال: ده رچيم «الكالوريز» ياجاهلة.. كل نوع من الطعام يحتوى على عدد من الكاليرز يعنى عدد من السعرات الحرارية، وجسمك محتاج عدد معين فى اليوم، احسبى عدد السعرات فى كل أكله حسب نوعها وكميتها واجمعيه و..

قلت لها: لاياستى.. حد الله، أنا لاابتاعة حساب ولا أعشاب ولا أدوية تخسيس، الرچيم ده إرادة وأنا مؤمنة بشىء: مادام نيتك خالصة، ودعا الوالدين، يبقى بعون الله تفوتى فى الحديد، وماتخافيش من حاجة أبدًا.

لم يعد أمامى إذًا غير اتباع نصيحة صديقتى الأنيقة الرشيقة «هالة عمر»، التى قالت لى بخبرة المجربين المخلصين: عليكى وعلى الرچيم الكيماوى، ده رچيم «ديمس روسس» يعنى مشهور ومضمون ١٠٠٪، جربى وشوفى وهاتدعيلى.

من يومها وأنا ماشيه ع الكيماوى إياه، الذى تتلخص فكرته فى التهام الطعام بأى كمية، بشرط أن يكون نوع واحد كل يوم وليس أكثر.

يعنى مثلا اليوم الأول فراخ وبس، واليوم الثانى رز سادة والثالث تفاح منفرد، والرابع جبنة وسلطة واليوم الخامس اشتريت ٢ كيلو موز، وهات ياأكل وقزقزة فشر قرود الجبلاية ونسانيس الحديقة (معلهش.. زى بعضه، عشان ديمس روسس ينبسط).

حتى فى إشارة المرور، حاولت نسيان الزحام والحر، وأخرجت صابعين موز، وهاتك تقشير ومزمزة، السكة واقفة، وماورناش

حاجة بقى... وقتها كنت أسمع سارينة الإسعاف تستغيث بأعلى صوت لها: «واووى.. واووى.. ويوو .. ويوو».

ياحول الله يارب، الظاهر الحالة خطرة ومستعجلة.

- كنت أحدث نفسى وأنا مازلت أقشر الموز، وألتهمه إصبعا بعد الآخر، بعدها سمعت سائق الإسعاف يستغيث بصوته: ياملاكى وسع.. وادخل يمين.

نظرت أمامى أستطلع الموقف المتأزم وسط السيارات المتكدسة، لكن لم أستطع رؤية سيارة الإسعاف، فعدت أهز راسى واقشر الموز واتصعب على المريض اللى حيفطس فى الحر والزحام ياحول الله يارب.. الله يكون فى عون أهله.

بعد أن انتهيت من آخر صباع موز، رفعت عينى ونظرت نحو المرآة لأكتشف فجأة أن سيارة الإسعاف المستغيثة تقف من ساعتها خلفى، وتصرخ بسببى وأنا لا أدرى.

الله يخرب بيت الرچيم الكيماوى وديمس روسس فى ساعة واحدة، لو اللى فى الإسعاف ده جرى له حاجة، يبقى الموز هو اللى جاب أجل الراجل، وهو ده «الرچيم القاتل!».

• الشيخة كركر تفسر الأحلام

الشيخة كركر فى خدمتك، احلمى إنتى بس واحنا نفكر ونفسر، بس إنتى جربينا واسألينا، وليكن فى معلومك ولعلمك الخاص تفسير الشيخة بتاعتنا ماينزلش الأرض أبدًا..

معانا دلوقت أول اتصال: آالووو.

- مدام س. س .ج .م: إمبارح حلمت حلم عجيب قوى.. قال إيه بالبس جزم واقلعها، ألبس صنادل إشى بكعب وإشى ببوز، لكن برضه بارجع أخلعها من رجلى وإحساسى أنها مش بتاعتى ولاتنفعنى وفى الآخر لقيت علبة جديدة كأنها هدية مخصوص عشانى بالذات، وكانت علبة جزم، فتحتها لقيت جواها جزمة رياضية من غير كعب طبعًا، لكن شكلها كلاسيكى أنيق ولونها أسود، استعجبت قوى بس أخدتها وأنا فرحانة، وقلت ياللا، مش بطالة هى صحيح من غير كعب لكن مريحة وصحيح رياضية لكن ماركة وشيك وغالية.

ـ الشيخة كركر تجيب: شوفى ياحبيبتى خير اللهم اجعله خير، إنتى هاتتجوزى عن قريب وعريسك هايكون مفاجأة لم تخطر على بالك أبدًا يعنى لاعمرك توقعتى إنك ترتبطى به أو تتزوجى بمن هو فى مواصفاته.

الجزم والصنادل التى جربتيها وخلعتيها من رجلك دى رمز «الرجالة» اللى حواليكى فى كل مكان (همه كده دايمًا.. حتى فى الحلم !!!) وفيهم بالطبع من تدرسين فكرة الارتباط به، لكنه فى الحقيقة لايناسبك، بدليل إنك فى النهاية «تخلعيه».

لكى بقى عريسك الأمور، هو لامؤاخذة الجزمة الجديدة أم علبة، مش بكعب لأنه هايريحك و «ماركة» يعنى ابن ناس ومن عيلة و «رياضية» يعنى روش طحن ومنطلق ودمه خفيف، اللون الأسود معناه أنه يمكن يكون أكبر منك شوية، لكن فرق السن لن يكون مشكلة، هاتحبيه وتدوبى فيه، ودائمًا سيكون فال سعدك، وتحت أمرك، وهايعمر معاكى، وواضح إنه راجل محترم، والست اللى تعرفه، ماتخلعهوش من رجلها أبدًا.

واتصال آخر من الآنسة ش . و. ش. تقول: حلمت إنى اتجوزت خطيبى الحالى وفى الفرح كان فستانى الأبيض قصيرًا فوق الركبة وكذلك طرحتى كانت قصيرة عند الأكتاف.

وحملنى خطيبى لفوق فى إيديه الاتنين، وكأنه يراقصنى فانخلعت جزمتى البيضاء أم بوز، وتعلقت عند طرف إصبعى، ونظرت نحوها خائفة عليها وأفقت من النوم وأنا وأشعر بالقلق.

تردد الشيخة كركر: إيه حكاية الجزم النهارده؟ إحنا فى جورنال ولا فى توكيل أديداس؟!

على أى حال، لازم أصارحك يامودموازيل ش والصراحة كده حلمك مايطمنش.

خطيبك لن يكون زوجًا مثاليًا، ولن تسعدى معه، بدليل طرحة لمس الأكتاف إياها، والفستان الميكروجيب اللى لايستر ولا يدفى «عاجبك فيه إيه ده؟»، عمومًا لو صممتى وركبتى دماغك سيكون والله أعلم الانفصال هو النهاية الحتمية لهذا الزواج لكن سيبقى لكى منه ذكرى، فاكرة الجزمة أم بوز اللى علقت فى صوابعك دى رمز لجنين فى بطنك، يتركه لك ويمضى لحال سبيله، فتعيشين قلقة مع بنتك أو ابنك الوحيد ياختى فضك من ده خطيب وكسة توكسه هو وأهله.

إنتى عاجبك فيه جنانه ولا لخبطه فى كيانه؟ ولا تعويجة سنانه؟.. حقه: بطلوا ده.. واسمعوا ده.

• إحنا بتوع «الإتيكيت»

شوفى أما أقول لك إنتى وهيه.. العلام حلو.. ماقلناش حاجة، والثقافة.. مافيش أحسن من كده، والواحدة لما تتنور وتتنجر، وتبقى هانم، والناس تقف تستناها ع السلالم.. لكن كل ده مايمنعش يبقى عندك ثقة فى نفسك وماتستقليش بروحك، ولاتستقصى من ذاتك حيث إن «الإتيكيت» بالأساس، إحساس وهو فى المعاملات الإنسانية، مسألة ذوق وأدب ومفهومية، أى نعم اللى بيعلموه، ويطبقوه، ويكتبوه فى كتب ويدرسوه فى مدارس ناس خوجات وهاى فاى و «الافرنكة» لكن لعلمك بقى فى الأصل فى الأصل خاااالص إحنا اللى بدعنا الإتيكيت.

عندك مثلا فى إتيكيت الضيافة، يوصون بالتالى:

١ ـ إذا عزمتى ناس على فرح أو على الغدا ولم يأتوا دون اعتذار مقبول، فلا تكررى دعوتهم مرة ثانية أبدًا فى أى مناسبة.

٢ - إذا قبلتى دعوة حد على عشا أو حفلة أو شىء من هذا القبيل تبقى مردودة لهم فى الأفراح يعنى لازم تردى العزومة مش ضرورى بعدها مباشرة خبط لزق، لكن على الأقل يبقى فيه حساسة «وشوية من الأحمر» وبلاش شغل الطناش وتكبير الدماغ فى الحاجات دى بالذات.

٣ - لو قاعدة وسط ستات كتيرة أو قليلة لاتبدئى بوضع رجل على رجل، قال يعنى أميرة ومتواضعة ورجليكى مضمومين على جنب أدبًا أمام من هى أكبر سنًا أو أرفع شأنًا، لكن بقى لو واحدة سبقت، خاصة لو كانت أقل منك شأنا، ووضعت ساقًا فوق ساق يبقى مابدهاش ولازم وحتمًا ساعتها تكونى على مستوى القاعدة، يعنى رجل على رجل إنتى كمان.

٤ - لاتفتحى الكلام بأمور باردة ومملة مثل حالة الجو النهارده، أو زحمة المرور فى الشوارع.

٥ - تجنبى على موائد الطعام التالى: تسليك السنان بالخلة أمام الناس (عندك الحمام جوه).

- هرش الرأس أو الجسم بشكل ملاحظ (إنتى إيه عندك جرب؟).

- وضع المكياج أو تسريح الشعر (شعرك هاينزل فى الأكل عيب).

- مضغ اللبان بصوت أو بشكل واضح (خصيمك النبى خليكى شيك شوية).

- التثاؤب والسعال والعطس فى وش اللى قدامك (عيانين اقعدوا فى بيوتكم).

٦ - إذا كان لك مصلحة عند صديقة أو إحدى المعارف وتريدين أن تطلبيها منها تليفونيًا، فإياك أن تدعى فى المكالمة أنك اشتقت إليها وتريدين السؤال عن صحتها وأحوالها، وبعد نصف ساعة أو أكثر من اللت والعجن تلمحى لها بطلب الخدمة «قال يعنى ع الماشى.. وبالمرة.. ولما افتكرت» فمثل هذا التصرف يترك انطباعًا سيئًا لدى محدثتك، وكأنك تخدعينها وتستغلينها أو على الأقل تستهترين بذكائها.

لذا من الأفضل - ومن أصل الإتيكيت - أن تبادريها بالتحية اللطيفة المناسبة، ثم تصارحيها بالخدمة المطلوبة، بشكل مباشر ومهذب، وبعدها تكملين المكالمة سؤالا عن صحتها وأحوالها وأخبار الأسرة والأولاد، فذلك سوف يترك عندها انطباعًا أكثر مصداقية وودًا، وسوف ينهى المكالمة بأثر عاطفى أكثر على عكس ماقد تتوقعين.

باختصار خليك صريحة ولطيفة وعلى طبيعتك وبلاش تعملى فيها «فريكيوكو» وتتلائمى، كى لاتتسببى فى نتائج عكسية، لن تعالجها بتاتًا نصاحتك الزائدة أو «كهن الستات» بتاعك.

٧ - عند استقبالك ضيوفًا مهمين، قدمى الشاى فى البراد الصينى، بصورته التقليدية المعتادة.. «يعنى لا كشرى بتاع القهاوى ولا شاى فتلة بتاع المطاعم والأكل السريع «وشغل حلق حوش..»

فى نفس الوقت يجب أن يكون السكر مكعبات وليس سائبًا، فهذا سيعطى شكلاً كلاسيكيًا محترمًا للضيافة ومستوى الاستقبال والمكان، وبعدها اللى فيه الخير.. يقدمه ربنا.

٨ - لو جاء الضيوف ومعهم هدية، يُفضل جدًا لو تفتحيها أمامهم، وتبدى فى وجودهم سعادتك الشديدة بها وتقديرك الفائق لذوقهم الرفيع فى اختيارها، ولو كانت الهدية حلوى أو أى صنف من الطعام لامانع أبدًا من أن تقدميها مع ماتقدمين لهم فى بيتك، وتثنى على مذاقها وكيف أنها لذيذة أو طازجة أو من مجلات ممتازة، فمثل هذه التصرفات التلقائية، هى من صميم البروتوكول والأهم أنها من أشد مايسعد صاحب الهدايا المرات ويشجعه فى المرات القادمة على شراء المزيد وآهو كله مصلحة!.

٩ - تجنبى الأكل مع الكلام، يعنى تدردشى على الأكل - عادى جدًا - لكن بلاش والنبى، تفتحى بقك وفيه أكل بغرض الضحك أو الكلام (شكللك وحيييش).

١٠ - لاتجلسى فى مقعدك مجعوصة، ولاتسندى بإيدك أو تدخلى بصدرك على ترابيزة الأكل (تماسكى أرجوكى).

- الموبايل والميدالية والمناديل مكانهم الشنطة مش فى إيدك، والشنطة مكانها عند رجل الكرسى يمين مش فوق الترابيزة.

واحدة نبيهة تقول لى بس كده الشنطة هاتنسرق أو ممكن تتوسخ من الأرض؟!

والإجابة ياهانم: احنا بنفترض إنك ست كلاس ومعزومة فى مكان محترم وراق وأنيق، مش قاعدة بتاكلى فى العتبة أو بتضربى كشرى فى مطعم أبو طارق!

١١ - لاتصدقى المبالغات السينمائية أو الحركات المسرحية اللى بتشوفيها فى الأفلام والمسلسلات يعنى مثلاً مسألة إن حد يعزمك ويشدلك الكرسى مسألة ليست أساسية ولا إلزامية للراجل فى قواعد الإتيكيت المعتمدة عالميًا.

ومسألة الراجل يسلم ع الست الهانم فيبوس إيدها، دى كمان ليست إلا عادة غربية، ليس لها علاقة بالإتيكيت الدولى، حتى فى الغرب الراجل لايقبل يد المرأة من اللقاء الأول، لكن لابد أن يكون بينهما معرفة سابقة تسمح له بهذا النوع من الود والمجاملة الحميمية.

(بلا سهوكة بلا مياعة وقلة أدب).

١٢ - بالمفهومية وبالعقل كده، عيب تطبى على حد فى بيته من غير ميعاد، ولو كانوا عازمينك يبقى عيب توصلى قبل الميعاد ولو معاكى هدية ومعاكى المحروس جوزك يبقى إنتى اللى تشيلى الهدية وتقدميها بلطف يعنى تقولى كلمتين حلوين وأنتى بتطلعيها، مش تحطيها وأنتى ساكتة صم بكم، كأنك مكسوفة أو عاملة عملة!

١٣ - باختصار ومن الآخر وبالعربى، اتجرى واستذوقى ومع ذلك خليكى بسيطة وعلى طبيعتك، وعيشى عيشة أهلك.. بس «بالإتيكيت».

• كيف تصنعين «صينية البطاطس»؟

عزيزتى المرأة.. هل أنتى ضليعة فى قواعد اللغة الإنجليزية؟ هل أنتى من مستخدمات شبكة النت العالمية أو من خريجات الجامعة الأمريكية؟ وبديهيًا طبعًا عندك كمبيوتر، ومعاك قاموس «فلو - مى» وتتابعين إذاعة ال B. B. C. وتستمعين لبرنامج «إنجلش فور يو».. إن لم تكونى كذلك.. لأ لأ.. نونونو.. اسمحيلى بقى، سورى وإكسكيوزمى الاتنين مع بعض - أكيد إنتى مش عايشة فى الدنيا، ودون مستوى الأحداث التاريخية، وغير مواكبة للتطورات العصرية، والأهم أنك الآن بالفعل، خارج نطاق السيطرة الإلكترونية وخارج نطاق الخدمة، وهى الخدمة الجليلة التى قررت إحدى السيدات تقديمها لكل امرأة، عبر موقعها المعروف على شبكة

الإنترنت باسم «الوصفة سهلة» وفيه أبواب مختلفة ومتنوعة، مثلاً عن كيف تصنعين صينية البطاطس؟ مع الإجابات الوافية والتفصيلية عن أسئلة من عينة.

* أعمل إيه لو عايزة أتعلم الكروشيه؟

* وما الخطوات الأساسية، فى مواجهة الخيانة الزوجية؟

* وصور أحدث ألوان وربطات وحجاب المرأة المسلمة المعاصرة.

وإن كان ذلك لا يمنع أيضًا، أبواب المكياج والتجميل والرشاقة، باختصار كل شىء موجود ومتاح فى موقع «الوصفة سهلة» لكن.. بالإنجليزى يا مرسى.. Please Tyry to Exprass Your Selfe.

إن لم تفهمى هذه الجملة على الأقل لوحدك، يبقى مفيش أمل أساسًا تفهمى من هذا الموقع أى شىء ومفيش داعى للإحراج، إن الله حليم ستار، وقد سألت الأستاذة صاحبة الموقع خريجة جامعة القاهرة، عن سر الاعتماد على اللغة الإنجليزية فى هذا الموقع المتخصص فى الخدمات النسوية المنزلية والمطبخية؟ فأجابتنى بحماس شديد، مش مهم اللغة، أنا عندى أفكار عايزة أوصلها وثقافة عايزة أنشرها إن شا لله يكون باللغة العبرية.

قلت لها لكن أصحاب اللغة العبرية فى إسرائيل يحترمون لغتهم، ويقدمون مواقعهم المماثلة للستات بالعبرى فعلاً، وليس بالإنجليزى؟

- أجابت بحماس مرة أخرى، اللغة العربية شكلها مش شيك خالص ثم إنى لا أخاطب المرأة المصرية وحدها، لكنى أستهدف النساء فى كل البلاد العربية.

سألتها بفضول أكبر من حماسها، وهل تعتقدين أن الستات العربيات فى الدول العربية، يفهمن الإنجليزية أكثر من اللغة العربية؟!

- أجابت: طبعًا وخاصة مستخدمات «النت» .. شوور.. «هاندرد برسنت».

هذه المرة لن أكمل ترجمتى لكلماتها الإنجليزية المتواصلة.. أنا عندى قولون عصبى واللى فيا مكفينى وبناقص الكروشيه وصينية البطاطس!.

• كل شىء قسمة ونصيب

بلا وكسة.. قطيعة.. بلد مفيش منها رجا أيدك والأرض.. وأيام سوده تقصف العمر.. وناس بجحة وحرامية وعينهم قوية، وعشرتهم تستفز العفريت، وتجيب التخلف العقلى!.. الواحد نفسه يطفش ويهج وياخد فى وشه وما يرجعش.. يعنى كنا شفنا إيه يتبكى عليه، مدعوقة باللى فيها وياكش تولع.. والحمد لله يارب، فى مثل هذه الأيام الفضيلة من شهر نوفمبر المبارك، تفتح أمريكا الحبيبة باب الهجرة على مصراعيه، وترحب بالوافدين إليها من مصر وسائر البلاد المتخلفة يدخلونها من أى باب يشاءون، فالهجرة عندهم مبدأ أسست عليه أمريكا، أما بالنسبة لنا فهى ميزة رائعة، وفرصة نادرة ومنزلة كريمة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم.

فهنيئًا لكل من يهاجر ويحصل على «الجرين كارد» فى بلاد العم سام، ويعيش حياته فى اللذيذ، يلعق الآيس كريم ويأكل الهامبورجر بالمايونيز، ويتمدن بقى ويتقدم وينعم بحياة الرفاهية والحرية،

وينسى رائحة الزبالة وهباب الشوارع وزيت الطعمية، وأمور النصب المهروشة، وماء الشرب الملوث والفاكهة المرشوشة.

بشكل عام هناك ٤ طرق مضمونة كى تنال تلك الأملة، وربنا ينصفك وينفخ فى صورتك وتبقى بنى آدم.. أمريكانى، معاك جنسية باسبور مختوم من «اليو. أس. أيه» وألف اسم الله عليك وعليه..

أولاً: تلاقى واحدة أمريكانية مستغنية عن عمرها وكارهة نفسها وأهلها، وترضى تبص فى وشك، وتغرم «بالسكس أبيل» المشع من حبابى عينيك، وكل ما تشوفك تتنطط من السعادة، ويغمى عليها من الانبهار ولما تفوق تقوم على صرخة واحدة «إيچبشان هايبوسنى.. ايچبشان هايبوسنى».. ساعتها سيكون المطلوب منك إقناعها بأن تتزوجك وتصرف عليك، وبعدها ستنتقل إليك الجنسية أوتوماتيك، برضا الوالدين وتساهيل المولى، طب افرض العبارة عصلجت، والهوا ماجاش سوا، يبقى مفيش قدامك غير. ثانيًا: كفالة صاحب العمل.. طب أنت أساسًا خالى شغل ومتأخذنيش فى الكلمة عاوطلى وصايع، لاحيلتك شغل فى أمريكا ولا حتى فى مصر، يبقى إزاى الحال بقى؟ ما قدامكش دلوقت غير ثالثًا: وهو انتقال الجنسية إليك عبر أحد أقاربك من الدرجة الأولى بشرط كفالته لك ووجودك معه فى الولايات المتحدة الأمريكية.. طب دى رخرة صعبة، إنت عارف القرايب عقارب، وما حدش يضمن حد اليومين دول هذا بفرض أصلاً إن ليك قرايب نضاف ومهاجرين أمريكا بالطرق الشرعية ومعاهم همه نفسهم الجنسية.

وأخيرًا وصلنا لرابعًا: وهى دى مربط الفرس، واللى عليها العين والنية «إنها سحب اللوتاريا الأمريكية».. لو حظ أهلك ممتاز، يبقى هايخلصوا منك للأبد وستفوز إن شاء الله فى السحب العشوائى على الياناصيب الأمريكانى، وبختك يابو بخيت.. كل ما عليك أن تدخل على شبكة النت الدولية.. ولو بمساعدة أحد من أصدقائك.. (أنا عرفاك لبخة ومش فالح فى حاجة وما تسترش قدام الأجانب).. المهم تملى بياناتك وتكتبها فى استمارة وزارة الخارجية الأمريكية، للحصول على «الجرين كارد» والهجرة والجنسية، بواسطة سحب اللوتارية.. سيعطونك رقمًا وأنت ونصيبك لكن اطمئن مفيش واسطة ولا محسوبية ومفيش خوف من ولاد الحرام، اللى بيستغلوا الظروف وبيعملوا مكاتب لتوزيع مثل هذه الاستمارات على الراغبين فى الهجرة، مقابل رسوم تصل ٥٠٠ دولار.. حيث إن السلطات الأمريكية تقف لهم بالمرصاد وفى الفترة الأخيرة، استطاعت أن تغلق عددًا كبيرًا من هذه المكاتب، وتقبض على أصحابها النصابين (وبالمناسبة عدد كبير منهم كانوا من العرب والمصريين!).. ومع ذلك مازالت أمريكا ترحب بالمهاجرين من بلادنا العزيزة على عكس جنسيات أخرى غير مرغوب فيها مثل الروس والهنود والصينيين، والوافدين من كندا وكوريا والمكسيك والفلبين، وحتى القادمين من الدولة الصديقة الحليفة مثل بريطانيا العظمى شخصيًا وهو ليس اضطهادًا للإنجليز لا سمح الله ولا حبا فينا لا قدر الله..

كل ما فى الأمر أن الدول الأخرى سابقة الذكر سبق أن هاجر منها إلى الولايات المتحدة ما يفى بالحد الأقصى المسموح دوليًا بينما نسبة المسموح بهجرتهم من مصر ومعظم الدول العربية حتى الآن لم تكتمل بعد.. يعنى احجز تذكرتك من الآن.. أوكازيون.. أوكازيون.. وياللى اتحرمتم التعليم الفرصة لسه قدامكم .. من غير ما تغرم ولا مليم أمريكا ناوية تعلمكم.. وأهم درس فى أمريكا أن الحياة حلوة جدًا وسهلة خالص - خاصة مع «الجرين كارد».. يعنى مثلاً لو باسبورك المصرى ضاع أو رميته فى أى داهية أو خرابة ونسيت أولا مؤاخذة عملت عبيط، تقدر تطلع باسبور أمريكانى بديل بالفاكس، ويوصلك تانى يوم بالبريد.

حتى المشكلة الفلسطينية، اتحلت على يد الخارجية الأمريكية، بحيث لو كان المواطن والمهاجر فلسطينى من الضفة الغربية تعامله على أنه أردنى الجنسية، ولو من القطاع تعامله على أنه مصرى ولو من الأرض المحتلة تعامله على أنه إسرائيلى... مش قلتلك؟ الحياة سهلة جدًا.. طالما معاك «الجرين كارد» ما تحملش هم.. إشارتك خضرا وطريقك زراعى وما تقطعش الجوابات.

• جوزى مسجون سياسى

ألقى القبض مؤخرًا على الدكتور إبراهيم الزعفرانى خلال تجمع انتخابى نظمته زوجته چيهان الغرباوى بالإسكندرية.

د. إبراهيم يشغل منصب أمين عام مساعد نقابة الأطباء فى الإسكندرية، وقد حكم عليه من قبل بالسجن ٣ سنوات ضمن المحاكمات العسكرية لأنصار جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٩٥.

أما زوجته فهى چيهان الغرباوى زعيمة جماعة الإخوان المسلمين المحظورة، والمرشحة الأولى للجماعة بمحافظة الإسكندرية، التى تتولى بجدارة وشراسة مهمة الصدام والتنافس مع مرشحى الحكومة فى انتخابات مجلس الشعب كل دورة!

هكذا وبكل سلاسة إليكترونية قرأت عبر الكمبيوتر ذلك التقرير الرقمى الموثق على شبكة النت عن آخر أخبارى وأخبار زوجى العزيز د. إبراهيم.

يا حبيبى يا جوزى.. يا مقطع فى قلبى يا بعلى.

يا جملى المناضل.. يا سبعى المعتقل، يا ثورى من يومك يا أبو عيالى.. ربنا يفك حبسك يا أبو الزعفران يا غالى، وترجعلى بدرى سالم غانم ولا يحرمنى من دخلتك عليا يا مهنينى ومستنتى.

لكن مستنتى إيه بقى؟

إذا كنت أنا نفسى طلعت مناضلة وزعيمة ومقضياها مظاهرات وانتخابات وعاملة فيها «چى چى فارا»؟؟

يا خبر أسود، دانا طلعت «خطرة ع الأمن» وليا ملف فى أمن الدولة، ومش بعيد لو حصل فى الأمور، أمور (والدنيا لبش اليومين دول) ألاقى اللى بيخبط عليا فى نص الليل وبيجرنى من شعرى للبيه الضابط الذى سوف يطلب منى بدوره اعترافات كاملة وتفصيلية عن العمليات التى قمنا بها أو خططنا لتنفيذها أنا وباقى عناصر التنظيم؟

وحيث إنى غلبانة ومش وش بهدلة، واللى يدور عليا يلاقينى صوت ع الفاضى، وما تخدش منى غير كلام، وبالكتير مقالات غالبا هاعترف - من أول قلم - على كل أعضاء التنظيم.

المشكلة الوحيدة هى «سى جوزى» الدكتور إبراهيم.

مين دكتور إبراهيم دهه؟ أنا أساسًا مش متجوزة وعمرى ما اتجوزت وكل من يعرفنى أو قرالى فى يوم، يعلم جيدًا إن «البحث عن زوج مناسب، هو ملخص قصة حياتى».!

فيه إيه بقى؟ ومين چيهان الغرباوى اللى كاتبين عنها فى النت دى؟ قطع الكمبيوتر واللى بييجى من وراه.. مصيبة إيه «الديجيتال» دى يارب؟

ومع ذلك لم يهدأ لى بال، حتى حصلت من نفس التقرير المنشور حاليًا بالنت على كل ما يقود للاتصال بالدكتور إبراهيم وزوجته، التى من المفروض أنها أنا شخصيًا.

بعد جرس التليفون الطويل «ترنك إسكندرية» تحدثت إلى المذكور أعلاه ثم إلى زوجته، وثبت أن كل ما نشر عنهما فى شبكة النت «Google. Com» صحيح ١٠٠٪ باستثناء غلطة واحدة، هى أن الست زوجته تبقى چيهان الحلفاوى.، وليست الغرباوى.

وقد سألت كل مننا الأخرى عن سبب هذا الخلط الغريب المريب فى الأسماء، فلم نتوصل حتى الآن إلى السبب أو المسئول عن وجوده أو المنوط بتصحيحه ومع ما قد ينتج عنه من كوارث ومشاكل، لهذا لزم التنويه، والتصحيح الواجب. من يقرأ هذا المقال لا يصدق المنشور عنى فى النت واللى مش مصدق يتصل بزعيمة الإخوان المسلمين فى الإسكندرية وربنا يسترها معانا، ويهدى الجميع.

• البوسطجية اشتكوا!

أنا بحبك وبريدك، وبعت جوابات فى بريدك، اكتبنى فى دفتر مواعيدك، وإن كنت مسافر.. خدنى معاااك.

إذا كنت مسافر خدنى معاك.

الله يمسيه بالخير «الريس متقال» كان راجل جدع وأمير، ويعرف قيمة البريد والجوابات «صح» واسالونى أنا عن بريد القراء.

حاكم الطيور على أشكالها تقع، والجواب بيبان من عنوانه وعلى رأى المثل «صاحبك من بختك»، وإن كان على بختى فقد عرفته، ومازلت أطالع وأستكشف تفاصيله المثيرة، مع كل رسالة جديدة، تصلنى من «أصدقائى بالمراسلة» قرائى الأعزاء جدًا.

عندك مثلاً «عم عبدالله»، الذى كتبت عنه فى شهر رمضان الماضى، ودعوت الناس، أن تتصل به ولو تليفونيًا، لتسأل عنه،

وتواسيه فى وحدته حيث إنه رجل مقعد مريض، لم يتزوج وليس عنده من الأقارب أو الجيران من يعتنى به، أو يهتم بأمره.

وقد كانت استجابة الناس أكثر مما كنا نتصور بكثير، فاتصل العشرات بالمذكور، من جميع محافظات مصر، ومن مختلف الأقطار العربية، فيهم من يقول له «كل سنة وأنت طيب» وفيهم من يعرض المساعدة.. أى خدمة، وفيهم من زاره فى بيته وتعرف عليه وجهًا لوجه، وقد رفع ذلك جدًا من معنويات عم عبدالله، وجعله يشعر بنجومية آسرة وألمعية ساحرة، ويثق ثقة جزافية خرافية فى الصحافة وتأثيرها الواسع الفتاك.

وكدت أنسى موضوع «عم عبدالله» تمامًا مع الوقت، لولا أنى فوجئت به من يومين، يرسل لى مستغيثًا، انجدينى.. كلمينى.. أنا فى عرض الصحافة ونقابة الصحفيين.. يا تلحقونى.. يا ما تلحقونيش..

اسعفونى يا ناس، غيتونى يا هووه.

ـ اتصلت وسألته، خير يا عم «عبدالله» كفا الله الشر؟

ـ فأجابنى بلهفة: زهقت .. عايز اتجوز، شوفولى عروسة ينوبكوا ثواب..

بعدها أملانى بالتفصيل مواصفاته ومواصفات العروسة المطلوبة، ومؤكدًا أنه لم يتجاوز بعد الخامسة والخمسين، وأن طبيعة مرضه تستدعى جلسات منتظمة من العلاج الطبيعى، والدكاترة الرجال يعاملونه بخشونة، لذا فهو فى أمس الاحتياج،

للمسات الأيدى الناعمة، وحنية «الجنس اللطيف»، فى النهاية بشرنى بالأجر والثواب، ودعالى بالسعادة والصحة، ثم أخذ يردد بحرارة يا رب، أشوفك ناجحة وفى العالى زى الأستاذ، عطية عبدالعاطى.

والحقيقة أنى فتشت فى ذاكرتى وفى ملفات كبار الصحفيين من أيام سليم وبشارة تقلا، ومصطفى أمين، والتابعى وعلى مبارك وطه حسين وحتى الآن لم أستدل على شخصية الأستاذ عطية عبدالعاطى الذى دعا لى عم عبدالله، أن أبلغ مبلغه من النجاح وعلو الشأن.

على أية حال كتر خيره، رجل طيب وجواباته ظريفة، الدور والباقى، على جوابات أمير العذاب، وطائر الليل الحزين، البائس للأبد «م.ع» وهو قارئ شاب، يعانى اكتئابا مزمنا، بسبب ظروف عائلية غامضة وعلاقات عاطفية مرتبكة، ومشاكل عمل متكررة ومعقدة ويحلوله أن يرويها لى بالذات على التوالى وبالتفاصيل..

وأذكر فيما أذكر رسالة وصلتنى منذ عامين تقريبًا تعليقًا على إحدى مقالاتي الأسبوعية بالأهرام وكان صاحب الرسالة يلومنى على كثرة الكتابة عن مغامرات سيارتى الخاصة النص عمر، على أساس أن فى الدنيا وفى البلد أشياء أهم وأخطر بكثير من تلك السيارة القديمة المخبطة وأعطالها التافهة.. وقصصها العبيطة!

وقد لمست الصدق بل والحب أيضًا فى رسالة ذلك القارئ الغاضب الذى ترك فى نهاية رسالته اسمه بالكامل ورقم تليفون منزله فاتصلت به.

ردت علىَّ والدته وقالت: عمرو بره.. مش موجود.

قلت لها: لما يرجع من فضلك يا حاجة قولى له چيهان الغرباوى اتصلت.

صاحت بحماس: إنتى چيهان.. أنا اللى بعت لك الجواب.. وعمرو بيقرأ مقالاتك كل أسبوع بس هو مش هنا.. أصله فى السجن.

اندهشت جدًا وسألت عن عمرو وقصته.

فأخبرتنى بتلقائية وطيبة الأمهات، أنه طالب فى كلية تجارة سجن فى قضية تزييف عملة، لكنه سيستأنف لأنه بريء، وكل علاقته بالقضية أنه اشترى الكمبيوتر المستخدم فى التزييف من صديقه المتورط فى نفس القضية.

وأكملت الحاجة أم عمرو: إحنا بنحبك قوى وعمرو بيقرالك وبيكتب الجوابات من السجن ويديها لى فى الزيارة وأنا اللى باحطها فى ظرف ابعتهالك بالبريد(!).

أما المودموازيل «كريمان حسن عدلى» ٩ سنوات فقد أسعدتنى جدًا بخطابها الطويل الجميل، الذى قالت لى فيه أنها تحبنى لأنى «مضحكة جدًا» وتحرص على متابعتى كل أسبوع، أنا والأستاذ (....).

وذكرت كاتبًا سياسيًا شهيرًا، لن أستطيع البوح باسمه؛ لأنى لا أضمن رد فعله، لو علم أن كريمان من أهم قرائه.

قرائى الأعزاء أحبكم جدًا، ودومًا فى انتظار رسائلكم... خاصة لو عند أحدكم معلومات كافية، عن الأستاذ «عطية عبدالعاطى»!

• ملاعيب شيحة!

على إيدك الشمال وإنت طالع، من عند دار الإفتاء المصرية، ومبناها العالى المهيب، إلى حيث تحول أوراق المحكوم عليهم بالإعدام شنقًا.. ومن حيث تنطلق الزغاريد فى قاعات عقد القران، ويجتمع المعازيم وأهل العروسين فى أبهى ثيابهم، وتوزيع الشيكولاتة والملِبس والمصاحف الصغيرة، احتفالاً بالزواج المبارك السعيد.

وهو نفس المبنى والمكان الذى تخرج منه شهادات الموافقة والاعتماد لمراكز البحث عن شريك الحياة بالكمبيوتر، وشهادات الإفتاء بتحريم الاعتداء على حقوق الملكية الفكرية، للقنوات التليفزيونية الفضائية، المتخصصة فى الفيديو كليب (وطب ليه بيدار كده ولا هو دارى كده وأنا بنادى كده ولا نده كده؟!!) ما علينا، سيبك من ده كله، وخليك علطول ماشى ماشى.. هيقابلك واحد

للمسات الأيدى الناعمة، وحنية «الجنس اللطيف»، فى النهاية بشرنى بالأجر والثواب، ودعالى بالسعادة والصحة، ثم أخذ يردد بحرارة يا رب، أشوفك ناجحة وفى العالى زى الأستاذ، عطية عبدالعاطى.

والحقيقة أنى فتشت فى ذاكرتى وفى ملفات كبار الصحفيين من أيام سليم وبشارة تقلا، ومصطفى أمين، والتابعى وعلى مبارك وطه حسين وحتى الآن لم أستدل على شخصية الأستاذ عطية عبدالعاطى الذى دعا لى عم عبدالله، أن أبلغ مبلغه من النجاح وعلو الشأن.

على أية حال كتر خيره، رجل طيب وجواباته ظريفة، الدور والباقى، على جوابات أمير العذاب، وطائر الليل الحزين، البائس للأبد «م.ع» وهو قارئ شاب، يعانى اكتئابا مزمنا، بسبب ظروف عائلية غامضة وعلاقات عاطفية مرتبكة، ومشاكل عمل متكررة ومعقدة ويحلوله أن يرويها لى بالذات على التوالى وبالتفاصيل..

وأذكر فيما أذكر رسالة وصلتنى منذ عامين تقريبًا تعليقًا على إحدى مقالاتي الأسبوعية بالأهرام وكان صاحب الرسالة يلومنى على كثرة الكتابة عن مغامرات سيارتى الخاصة النص عمر، على أساس أن فى الدنيا وفى البلد أشياء أهم وأخطر بكثير من تلك السيارة القديمة المخبطة وأعطالها التافهة.. وقصصها العبيطة!

وقد لمست الصدق بل والحب أيضًا فى رسالة ذلك القارئ الغاضب الذى ترك فى نهاية رسالته اسمه بالكامل ورقم تليفون منزله فاتصلت به.

ردت علىَّ والدته وقالت: عمرو بره.. مش موجود.

قلت لها: لما يرجع من فضلك يا حاجة قولى له چيهان الغرباوى اتصلت.

صاحت بحماس: إنتى چيهان.. أنا اللى بعت لك الجواب.. وعمرو بيقرأ مقالاتك كل أسبوع بس هو مش هنا.. أصله فى السجن.

اندهشت جدًا وسألت عن عمرو وقصته.

فأخبرتنى بتلقائية وطيبة الأمهات، أنه طالب فى كلية تجارة سجن فى قضية تزييف عملة، لكنه سيستأنف لأنه بريء، وكل علاقته بالقضية أنه اشترى الكمبيوتر المستخدم فى التزييف من صديقه المتورط فى نفس القضية.

وأكملت الحاجة أم عمرو: إحنا بنحبك قوى وعمرو بيقرالك وبيكتب الجوابات من السجن ويديها لى فى الزيارة وأنا اللى باحطها فى ظرف ابعتهالك بالبريد(!).

أما المودموازيل «كريمان حسن عدلى» ٩ سنوات فقد أسعدتنى جدًا بخطابها الطويل الجميل، الذى قالت لى فيه أنها تحبنى لأنى «مضحكة جدًا» وتحرص على متابعتى كل أسبوع، أنا والأستاذ (....).

وذكرت كاتبًا سياسيًا شهيرًا، لن أستطيع البوح باسمه؛ لأنى لا أضمن رد فعله، لو علم أن كريمان من أهم قرائه.

قرائى الأعزاء أحبكم جدًا، ودومًا فى انتظار رسائلكم... خاصة لو عند أحدكم معلومات كافية، عن الأستاذ «عطية عبدالعاطى»!

• ملاعيب شيحة!

على إيدك الشمال وإنت طالع، من عند دار الإفتاء المصرية، ومبناها العالى المهيب، إلى حيث تحول أوراق المحكوم عليهم بالإعدام شنقًا.. ومن حيث تنطلق الزغاريد فى قاعات عقد القران، ويجتمع المعازيم وأهل العروسين فى أبهى ثيابهم، وتوزيع الشيكولاتة والملِبس والمصاحف الصغيرة، احتفالاً بالزواج المبارك السعيد.

وهو نفس المبنى والمكان الذى تخرج منه شهادات الموافقة والاعتماد لمراكز البحث عن شريك الحياة بالكمبيوتر، وشهادات الإفتاء بتحريم الاعتداء على حقوق الملكية الفكرية، للقنوات التليفزيونية الفضائية، المتخصصة فى الفيديو كليب (وطب ليه بيدار كده ولا هو دارى كده وأنا بنادى كده ولا نده كده؟!!) ما علينا، سيبك من ده كله، وخليك علطول ماشى ماشى.. هيقابلك واحد

على عربية تين شوكى (اوعى تشترى منه) بيفكرنى بشادية فى فيلم «نحن لا نزرع الشوك».

المهم.. اكسر يمين، ثم اتبع علامات الطريق: أولها رائحة العفن والزبالة التى تأتيك من مكان قريب (هانت قربنا نوصل).

ثانى العلامات أن تلاحظ عددًا غير قليل من الكلاب الضالة، لكنها غلبانة ومسلوعة وعدمانة العافية، تثير الشفقة أكثر مما تثير الخف، ولو توقفت لبرهة وأمعنت النظر لوجدت بعضها كالمسطول، وكأنه «شرب بالقرش كله» ونظرًا للظروف الاقتصادية الصعبة، التى تمر بها البلد ستمر فى طريقك بعض المعيز الحرة المنطلقة، تعافر مع علب الكشرى الفارغة، وقشر البطاطا المحروق وتقلب عيشها من بقايا الطعام الملتصق فى ورق القراطيس، وكلها أشياء تتوافر بسخاء، فوق الطريق الترابى المرتفع، الذى سيأخذك لأعلى شيئًا فشيئًا، لتجد نفسك بعد فترة وجيزة، تصعد جبلاً من القمامة العامرة بالصفيح الصدئ، والكرتون الممزوع، والزجاج المكسور، والطبيخ الحامض وروث الحيوانات الأليفة بأنواعها، وقدمك تدوس هذا كله، فى رحلة صعود مستمرة لا تستطيع التوقف، ولا تنافسها فى المشقة أقل من محاولة تسلق جبل إفريست المتجمد (ياااى... فنتاستيك)، أخيرًا وصلنا إلى القمة (راجع فيلم الصعود إلى الهاوية، وأغنية فوق الشوك لعبدالحليم حافظ) من هنا نستطيع أن نرى بانوراما كاملة للمكان (الفيو يجنن) مدينة سكنية كاملة لجامعى الزبالة وباعة

الروبابيكيا فى أنحاء القاهرة، والآن «انظر حولك» بص ومتع عينيك.. وابتسم.. أنت فى ملاعيب شيحة!

إنه الاسم الرسمى والمعروف عن تلك المنطقة العشوائية من القاهرة القديمة، التى تقع ما بعد الحسين والدراسة بقليل.. لكن مسافة شاسعة تفصلها عن عين وإدراك «الحكومة الإلكترونية» ومصادر الشرب النقية وأسباب الإضاءة الكهربية، ولولا الأسلاك التى تسرق التيار من أعمدة نور الشارع العمومى ما كان لهؤلاء الأطفال الذين يسكنون «ملاعيب شيحة» أن يروا التليفزيون ويستمتعوا بأغانى حمادة هلال وشرين أو يتابعوا برنامج «خلف الأسوار» وضرب العراق فى نشرة الأخبار، وإعلانات السمن البلدى والمحمول وحفلات شعبان ونانسى عجرم.

* أما صديقتى نادية ـ ١١ سنة ـ فقد سألتها عن مطربها المفضل من الفنانين أو الفنانات، فردت بثقة واقتناع: بحب «أم كلسون».

ـ قصدك أم كلثوم؟

ـ هزت رأسها فى إحراج وابتسمت موافقة: آآهه.

ـ سألتها فى فضول: لكن إنسانة متعلمة ومثقفة مثلك تذهب للمدرسة وتتابع نشرة الأخبار وتسمع «أم كلسون» كيف تمشى حافية هكذا.. ألا تخافين الزجاج المكسور؟

** اتسعت ابتسامتها للغاية وأجابت تطمئننى الإزاز ما بيعملش حاجة أنا واخدة على كده.

- لكن كلبًا بجوارنا زام فجأة فى غضب وانتفض واقفًا وكأنه يضمر الشر، فارتعدت وأمسكت فى نادية بكل قوتى (على أساس إنها تقوم معى ساعتها بدور القائد الروحى والمرشد السياحى المسئول فى المنطقة) فإذا بها تتقدم لحمايتى فى جسارة وتصيح فى طابور الأطفال الذى كان يسير خلفنا، لتسكت ضحكهم وتعليقاتهم الساخرة من مخاوفى الصبيانة، ثم تلتفت تقول لى بعقل وحكمة، ما تخافيش.. الكلاب دى ما بتعضش.. دى عشان الحراسة لو فيه حرامى جاى يسرق تمسكه.

* نعم (؟) حراسة؟؟ هو أنتو كمان عندكم حاجات تتسرق(؟!؟!).

- أجابت بحماس: أيوه.. بيجووا يسرقونا من باب الشاعرية ومن العطوف.. إمبارح حرامى نط عندنا سرق الهدوم من على حبل الغسيل.

قاطعتها طفلة أخرى: إنتى كدابة..

- فسفخت نادية قلمًا محترمًا سريعًا على وجهها ثم واصلت كلامها فى هدوء (ولا كأن حاجة حصلت): اسكتى يابت الحرامية بيسرقونا.. إمبارح سرقوا عشة رضا بتاع «الروبابيكيا» واخدوا تليفزيون قديم، والست حلوم بنتها ماتت فى الحريقة، وعارفة فاطمة اللى بتبيع دُره عند أول الشارع وأم مدبولى بتاعة الزلابية، الحريقة مسكت فى العشش بتاعتهم، وعيالهم كانوا هايموتوا.. بس إحنا خلاص هانعزل فى حتة حلوة (أشارت إلى إحدى صديقاتها)

البت دى أبوها أرزقى بس عنده فلوس، بتيجى معانا إسكندرية فى الصيف وهاتعزل معانا.

ردت صديقتها بفخر شديد جعلها تمط حروف الكلمات على أقصى اتساع لها وهى بتقول آآآيوا... ها نروح الدوبيقة أو دار السلاااااام.

- عندئذ كان الوقت قد أزف على ما يبدو، وانتهت قافلة المساعدات التابعة لإحدى الجمعيات الخيرية، من توزيع أكياس الطعام والأدوية على سكان العشش فى «ملاعيب شيحة» فأشار لى أحد الزملاء بضرورة التخلى، عن طابور الأطفال الذى كنت جمعته خلفى دون قصد ومغادرة المكان معهم فورًا.

لكنى تلكأت فى الانسحاب، وقبل أن أترك نادية مسحت على شعرها المنكوش «المضروب أكسجين» وابتسمت تحية لبراءة قسماتها الجميلة والذكاء والطموح الذى يلتمع فى عينيها وسألتها أخيرًا: إنتى فى سنة كام فى المدرسة يا نادية؟

- أجابت: فى سنة رابعة.

قلت لها فى حنان: ونفسك تطلعى إيه يا حبيبتى؟

فأسرعت تجيب بكل ارتياح: نفسى أطلع سنة خامسة(!!!!).

• كفااية.. حراام

إييـيـه... الدنيـا اتقل خيـرها، وانعـدمت بركتـهـا، وعلى دخلة المـدارس كـيلو اللبن بقى بـ٣ جنيـه «الله يكون فى عـون أصحـاب العيال» زمااان، لما كنت عيلة صغيرة «حلوة كده» كان شرب كوباية الشاى بلبن كل صباح، واجبًا مقدسًا، لايمكن لأمثالى الفرار منه، ولا بالطبل البلدى. حتى لو تلكك أو تمحك أو زام، وقلب شفتيه وكرمش عينيه، وقال متأففًا وش اللبن عليه قشطة ما بحبش القشطة.

ساعتها كان والدى يتدخل بحزم ولوم: «وفيه حد مابيحبش القشطة؟»، ثم ينثنى للحظة عن تكملة ارتداء بدلته. ووضع المناديل القماش البيضاء فى جيوبها ويأتى ليفتتح الكوب بأول شفطة تنزع عن وجهه آثار القشطة الدسمة، التى لايروقنى منظرها أو مذاقها فيكون فى حكم المحتم وقتها، أن أشرب كوب اللبن كاملا دافئًا حتى آخر قطرة، ودون أدنى تعليق أو كلمة ثم ألتقط كيس

السندوتشات من يد ماما العزيزة (واحد جبنة وواحد بيض) مع توصياتها المكررة المعتادة كلى السندوتشات كلها، وماتضيعيش الكيس، عشان أحطلك فيه سندوتشات بكره... ماعدش عندنا أكياس..».

وهكذا كانت مشكلتى الوحيدة كل صباح أنى لا أحب وش كوب اللبن الملبد بالقشطة، وأبى لايريد التأخر عن عمله، وأمى تؤرقها أزمة الأكياس النايلون الفارغة.

لكن لا أذكر، أن أحدًا كان يتحدث مثلاً أبداً.. نهائياً.. البتة، عن غلاء سعر اللبن، أو تكلفة ساندوتش البيض أو زيادة مصاريف الكتب، أو اشتراك الأتوبيس المدرسى الشهير «بالباص» أو ثمن الزى المدرسى الشهير «باليونيفورم»، والموصى بشرائه تحديدًا من محلات «كذا كذا.. ياحبذا» وتعد محاولة تفصيله أو تقليده أو توفيره من أى مصدر آخر، جريمة شنعاء نكراء وفعل آثم مارق. لايقل جسامة وخطورة عن محاولة تزييف العملة المحلية، أو التخابر مع دولة أجنبية، أو التعاون الأمنى والعسكرى مع دول محور الشر(!). ومن ذكريات طفولتى السعيدة أيضاً أن حوش مدرستنا كان واسعًا جداً مع ذلك كنت بأموت فى لعب الشارع، نط الحبل ولعب الأولى واستغماية و«تريك تراك» وكهربا!!.. شد الكوبس.

وأحيانا كانت تتطور الأمور، وتظهر بعض الخلافات فى وجهات النظر، مما يترتب عليه خناقات شد الشعر، وتقطيع ياقات المرايل، ومن جانبى كنت لا أجبن ولا أتراجع عن تسديد بعض

اللكمات القوية والركلات الانتقامية تجاه الخصم أيا كان، لكنها كانت دائماً محاولات طائشة فى الهواء، لاتصيب ولاتدمى غيرى أنا شخصياً، لذا لم يكن أمامى غير المنافسة والنزال فى مباريات الكيد والعض والغيظ بالكلام، وكنت أقول للبنت من دول «ياالا امشى غورى من هنا» فتغيظنى هى أكثر وتضع يدها فى وسطها وترد بكبرياء: مش ماشية أنا قاعدة فى ملك الحكومة!!

الآن لايمكن لمثل هذا الحوار أن يتكرر ويدور بين أطفال المدارس ليس لأنهم لايتعاركون فى الشارع ولكن لأن الحكومة باعت الشارع!

فى شارع الإسعاف ـ أمام سنترال رمسيس مباشرة ـ قضيت وقتا طويلاً مهدرًا مع الباشا ملاحظ العداد الإلكترونى، فى محاولة مضنية ويائسة ومستحيلة لإقناعه وإثنائه عن قراره الحاسم الجازم بتغريمى ١٣ جنيهًا، نظير ركن سيارتى «النص عمر» بموازاة الرصيف مدة ساعات عملى الرسمية بالأهرام.

وعبثًا حاولت الامتناع عن دفع المبلغ المطلوب على أساس أن الشارع منفعة عامة ومثله مثل التروماى والعتبة الخضراء لايمكن لأحد أن يشتريه من الحكومة ثم يفرض عليه رسم مرور أو انتظار، ويجنى من ورائه أرباحًا ومكاسب.

ثم إنه يستحيل على شارع رمسيس ـ ثالث شارع فى العالم من حيث ارتفاع نسبة التلوث والعادم والازدحام والضوضاء، أن ينافس جراج الهيلتون والشيراتون وسميراميس إنتركونتنتال، فى ارتفاع

فاتورة انتظار السيارات (شىء بالعقل كده) لكننى بعد أن أضنيت نفسى فى مرافعة عصماء فوجئت بملاحظ العداد الإلكترونى وهو يهز كتفيه وكأنه يستمع «للحبة بتوع كل يوم».

وبعدها أفهمنى برفق أن معلوماتى قديمة، فالحكومة بذات نفسها هى التى باعت الشارع للشركة التى زرعت الرصيف بهذا الكم الهائل من العدادات، وزرعته هو شخصياً فى هذا المكان إلى جوارها ليبيع حق استغلال الشارع لأصحاب السيارات بالساعة، وعن طريق الكروت الذكية الشبيهة «بالفيزا كارت» وعلى طريقة عادل إمام فى أحد أفلامه وهو بيقول مولولا: الساعة بخمسة جنيه والحسابة بتحسب.

ساعتها أدركت أخيرًا بفهمى المتواضع الأبعاد الحقيقية والبؤرية للموقف المتأزم على الساحة الداخلية، وتصورت الوضع المتردى من الناحية الإكلينيكية الاقتصادية، فحلفت برأس جدى الغرباوى الكبير ألا يفوت هذا الأسبوع إلا وأنا بايعة العربية، وشاريه دماغى نهائيًا من مسألة العدادات الإلكترونية والكروت الذكية. أما ثمن العربية فسأستثمره فيما هو أنفع وأجدى وأبقى، سأشترى العتبة الخضراء بما فيها مكتب البريد وقسم الشرطة والمطافى.

- أهى حاجة للزمن والأولاد ومن أول الشهر الجاى سأضع مكان يافطة ميدان العتبة يافطة جديدة نوقى باسمى ترحب بالمشاة وراكبى السيارات وتذكرهم بدفع رسوم المرور أو الانتظار (الساعة

بخمسة جنيه والحسابة بتحسب)، وأمام القسم والبوسطة والمطافى سأنشر لافتات صغيرة حمراء مزخرفة، ومحنكشة وفسفورية مكتوب عليها بالبنط العريض «المرافق المباعة لاترد ولاتستبدل»!

• الفلوس مش كل حاجة

أعتقد أنه من غير البناء ولا المفيد تربوياً، أن تترك لأولادك ثروة تقدر بعدة مليارات.

هذا رأى «بيل جيتس»، أغنى رجال العالم، الذى يمتلك وحده نحو ٤٣ مليار دولار، ولايتورع أن ينفق منها مئات الملايين، فى كل مناسبة أو دولة يذهب إليها لصالح الفقراء والمرضى والمشردين، ومختلف الأغراض الخيرية والتنموية، بحيث لايتبقى فى النهاية لأطفاله الثلاثة الصغار، إلا مايكفى لحياة مريحة، وقدر مناسب من العناية، ليس أكثر.

وعلى ذلك علقت وسائل الإعلام فى أمريكا أن بيل جيتس ليس فقط رئيسًا لأكبر شركة برامج كمبيوتر فى العالم، أو مجرد رجل يمتلك إمبراطورية تكنولوجية وثروة هائلة، لكنه فوق ذلك مفكر وفيلسوف.

وما يدهشنى حقاً هو ذلك التحيز الواضح من وسائل الإعلام، التى أبدت تجاهلاً غير مبرر ولامتوقع لأمثال بيل جيتس من المفكرين والفلاسفة فى بلادنا العربية.

فعندنا فى مصر مثلاً، حكومة تتبنى نفس الفلسفة الحكيمة، التى ترى أن الفلوس مفسدة، وأن الفقر حشمة ونعمة، لايشعر بها إلا أولئك السعداء المعدومين، الذين ينامون الليل يشخرون، لا على بالهم سعر الدولار، ولا أزمة السيولة ولايزعجون نافوخهم بضريبة المبيعات أو ارتفاع ثمن تذاكر الطيران أو جمارك السيارات.

فالذين عدموا الفلوس، وعدموا حتى الأمل فيها يعلمون أنه لا أحد يقع من فوق الحصيرة، وبالتالى تجدهم مرتاحين هادئين، ينعمون بالراحة والسكينة، ويعيشون فى «الطراوة»، لا يحملون هما، ولايخافون لوما، لا انهيار البورصة يعنيهم، ولا انخفاض سعر الفائدة يؤرق مضجعهم، وكل ذلك بفضل الحكومة التى تحب لنا الخير، وتنظر لبعيد ولاتتدخر وسعاً فى أن تجعل دائرة الفقر تتسع يوماً بعد يوم، لتكون خير ضمان لشيوع الاستقامة فى المجتمع وتدعيم الصحة النفسية بين الناس.

وبينما نحن لا نتجرأ على التفكير فى المستقبل، ولانتذكر ماذا أكلنا بالأمس، يدأب فلاسفة الحكومة على فتح باب الأوكازيون، لبيع كل ممتلكاتنا وثرواتنا وما ندخره للزمن، حتى يجعلوا منا شعبًا ناضجاً مكافحًا، لايعتمد على ماتركه الأسلاف السابقين بل عليه أن يبدأ من جديد «على ميه بيضة» من أول السطر، ومن تحت

الصفر، ليثبت اعتزازه بالقيم التربوية ويؤكد إيمانه بالقيم الأخلاقية فالعمل فى حد ذاته شرف وعبادة، والفلوس بتروح وتيجى، المهم النفس والرضا وراحة الضمير!

❖ ويحكى فى ذلك، أن أحد رؤساء الوزارة، فى إحدى الدول النامية، المحبة لجذب الاستثمارات الأجنبية، كان قد أقدم فى نهاية عهده السعيد، على تأليف كتاب فريد عنوانه «أهمية أن تكون معدماً» وقد «خصخص» الفصل الأول من الكتاب لعرض المزايا المهولة، التى يتمتع بها أصحاب الدخول المحدودة مثل خفة الدم، وسرعة النكتة، والقدرة الفائقة على السخرية والضحك، حتى أنهم يقولون فى التعبير الشعبى «الجدع ده فقر» يعنى دمه شربات وزى السكر.

❖ الفصل الثانى من الكتاب فصل وطنى، يؤكد أن الإنسان المعدم بطبيعته، أكثر قدرة على الصمود أمام البضائع المستوردة والسلع الاستفزازية، وبالتالى فهو مواطن صالح ومثالى فى أوقات المظاهرات ومقاطعة المطاعم والماركات الأجنبية، حيث إنه يدمن الفول والطعمية ويفضل الملابس الرخيصة، بـ٢ ونص.. تعالى بص.. ماركة «فرح حمادة ورشا».

❖ الفصل الثالث يروى بالتفصيل قصص ومآسى أغنى أغنياء العالم، ممن كانت ثرواتهم نقمة عليهم فمنهم المهدد بالاختطاف والقتل مثل حفيدة أوناسيس، وفيهم من لايثق فى حب من حوله مثل أمير موناكو، وعدد كبير آخر من نجوم الفن وعارضات الأزياء

أرحت له الثروة برغبات متوحشة، وميول متطرفة وصلت لحد الإدمان والسفه وتعدتها أحيانا إلى الشذوذ والجنون.

الفصل الرابع، فصل فنى يبدأ بأغنية:

أنا وطنى وطنى وباطنطن.

واتباهى بحبك ياوطنطن.

على كل الأوطان متسلطن.

رجالتك.. طول عمرها رجالة.

ياحلولولولو ياحلاوة..

وفى هذا الفصل بالذات معارضة وانتقاد شديد لأفلام هذه الأيام، التى تتمسك بحكمة سقراط الخالدة «الفلوس الفلوس.. كل شىء ييجى بالفلوس».

بينما يهيب المؤلف بالمواطنين، العودة للأصالة، وأفلام الأبيض والأسود التى علمتنا أن الفلوس مش كل حاجة وأن الأغنياء تعساء رغم ماعندهم من مال.. بينما الفقراء سعداء بالشرف وراحة البال..

و«أحسن م الشرف مفيش»

❖ أما الفصل الخامس فعنوانه «عضة أسد ولا نظرة حسد» وفيه يشدد المؤلف، أن العين فلقت الحجر وأنه لا شىء يجلب المشاكل ويثير الحقد، أو يستدعى القر والنق، أكثر من الفلوس والثروة، ولنا فى بعض الدول والحكومات مثلاً وعبرة.

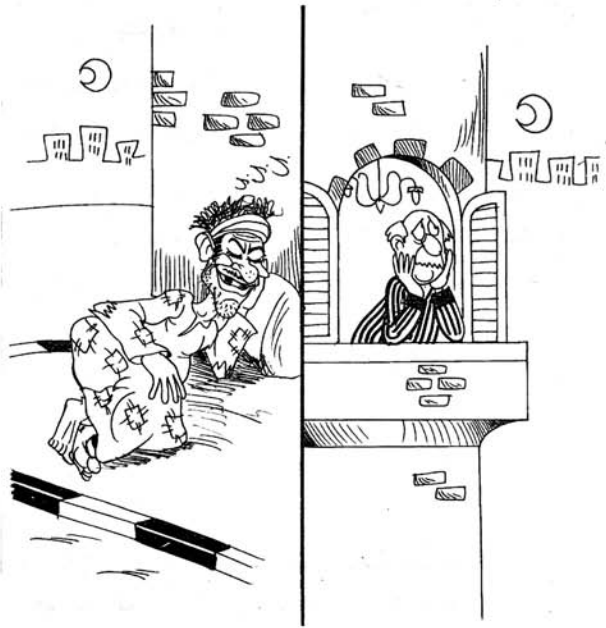

فبعض البلاد جعلت الثروة هدفا للأطماع الاستعمارية والبعض تورط فى حروب وتعرض لضربات صاروخية وفيهم من اضطر أن يفسح مكانًا على أرضه للقواعد العسكرية الأجنبية، ومنهم من استقبل عشرات الآلاف من الجنود الغرباء (لأسباب إنسانية).

وهكذا أصبحت الثروة نقمة، والفلوس المتلتلة لعنة حتى أن دولة عربية صغيرة «شقيقة» تشاءمت يوماً .. من تكوم عدة ملايين من الدولارات فى خزائنها، فقامت بعمل مهرجان فنى ثقافى ضخم، دعت لإحيائه نخبة من أشهر فنانى العالم، وكان بينهم المغنى الأوبرالى «بڤاروتى» الذى حصل وحده على أجر بلغ ٢ مليون دولار وكان ذلك كفيلاً بجذب انتباه الصحفيين والمراسلين الأجانب، الذين سألوا «بڤاروتى» كيف استطعت أن تحصل على هذا الأجر المهول، خاصة أنك تغنى فى دولة عربية زمن الأزمة، وشبح الحرب يخيم على المنطقة بالكامل؟!

وقد تجاهل «بڤاروتى» السؤال المحرج، وتحدث عن أمله فى السلام وعن طموحه الأكبر فى إنقاص وزنه قبل اعتزاله.

ثم ذهب يلوح لجمهوره فى المؤتمر الصحفى، ويركب سيارته الفارهة اللامعة التى أعطت أبلغ تعليق عما يجرى فى بلادنا العربية، بحركة المساحات على الزجاج وقت سقوط المطر.

(حين تلوح أقصى اليمين ثم أقصى اليسار، على طريقة يالهوتى.. ياخراااابى).

• يارب أقابل حبيبى

ماتعرفيش ياختى أيه غية الستات، فى مرواح النوادى والجلوس مع الشلة، واللت والعجن وفتح الحوارات.

«عزيزة» هى كمان بتموت فى النادى والشلة والبلطة فى الميه، واستعراض نفوذها الطاغى وتأثيرها الجبار، على أكبر الشخصيات فى البلد وصناع القرار.

ألا تعرفين عزيزة؟

إنها فرصة غير سعيدة، وخسارة فادحة وأليمة لو مر قطار عمرك يا ولدى. دون أن تعرفى شخصية فريدة وفذة مثل عزيزة وكنيتها «أم خليل» ولقبها الشائع فى عيلتنا «أمة عزيزة» علمًا بأنها ليس لها علاقة تذكر بأمة نعيمة.. نعمين!

من مبدأ «سيد القوم خادمهم» كانت عزيزة، سيدة الموقف فى بيت جدتى الريفى الكبير، فهى باللغة البندرية الحديثة «مديرة

المنزل» التى تربى الأولاد وتحلب الجاموس وتحمى الفرن وتخبز العيش، وتعد طعام الأنفار فى الغيط وتعمل الجبنة القريش وتسيح الزبدة وتحتفظ فى صدرها بمفتاح خزانة الغلال والقشطة، وقرب العصارى يأتى موعد واجبها المقدس واليومى. فتحمل فوق رأسها كمًا هائلًا من الحلل والصحون، والأوانى الألمونيا، وتذهب بهم إلى البحر «وهو الاسم الحركى لفرع النيل الواسع الذى يمر بالقرية والذى تعتقد عزيزة أنه طاهر وجارى لذا يصلح للوضوء والطهى والاستحمام، وجميع الأغراض المنزلية المهمة».

وقد ظلت عزيزة على اعتقادها هذا، حتى بعد دخول ماء الشرب الحلو، المكرر بالكلور لبيوت القرية وسائر القرى المجاورة.

ولم يكن أحد يجرؤ أو يتجاسر على اعتراض طريقها «للبحر»، حيث تقابل هناك وقريباتها وصديقاتها من مديرات المنازل الأخرى حولها، وهناك تذاع نشرة أخبار البلدة وتتسلى النسوة حول طشت الغسيل بالحكايات وأحيانا تنطلق الضحكات والأغنيات، وتشمر كل واحدة عن ذراعيها وساقيها، وتلم أطراف ثوبها إلى مافوق ركبتها بشبر ونص وأحيانًا أكثر، وعملا بالمثل الفلاحى القائل «اللى عارفنى يروح يقول لخالى» تقف وتجلس تبلبط فى الماء بكل حرية غير مكترثة، بأى عابر سبيل أو مسافر غريب يراها من ضفة النيل المقابلة، وهو يمر على الطريق الزراعى الواصل بين القرى والمراكز والمحافظات، وقد أثبتت التجربة العملية، أن عزيزة كانت سيدة عصرية وصاحبة نظرية.

حيث إن البلهارسيا - وهى أسوأ أخطار الترعة التى تفضلها عزيزة - لها حقن وأقراص تبيدها فى مهدها أما أمراض الكلى والكبد والبلاوى الزرقا المخلوطة بمياه الحنفيات اليوم، فاللهم احفظنا لافكاك منها ولاسبيل لعلاجها.

ثم إن الشرب من البحر بتاع عزيزة، أكثر توفيراً من تركيب الفلاتر الصناعية أو شراء المياه المعدنية، هذا غير أنه أشد دعماً للعلاقات الاجتماعية والأواصر العاطفية بأمارة الأغنية الرومانسية الشهيرة، ع الزراعية يارب اقاابل حبيبى.. ع الزراعية أنا شفت بااختى ونصيبى!

• معبودة الجماهير

تخرج مع صاحبها إلى حيث يريد.. وحين تقف معه على ناصية أحد الشوارع، تراها تميل نحوه فى دلع أخاذ، غير مكترثة بالمرة بنظرات الناس من حولها يديها فى وسطها، من فرط ثقتها بنفسها وبتأثيرها الذى تعلم أنه سيتجاوز صاحبها حتماً، ويجمع حولها عشرات المعجبين الآخرين.

ويصدق حدثها.. فلا يمر وقت طويل، إلا ويلتف حولها زحام من أولئك الذين لم يستطيعوا مقاومة رائحتها الفواحة، وإغراء قوامها الممتلئ.

تلقى عليهم نظرة دلال سريعة، وقد اطمأن قلبها إلى أن عدد المتيمين بها والراغبين فيها لايزال فوق العد والإحصاء.

وتتنهد، فيتطاير الدخان من ثغرها الساخن، لكن إحساساً لذيذاً يسيطر على كيانها كله وهى ترى تلك «النظرات الجوعى» تحيطها طامعة فى رضاها وعطائها.

ساعتها تتأكد حقًا، أنها «معبودة الجماهير» فى مصر طول عمرها محبوبة ومرغوبة وتأثيرها ممتد من عصر إلى عصر.

لا حرمنا الله منها وأدامها نعمة «قدرة الفول المدمس»!

عبر كفاحهم الطويل فى الحياة أكد المصريون أنهم خير من أعطى ومازال يعطى ـ لقدرة الفول ماتستحقه وأكثر، من التبجيل والتقدير والحب المخلص و«الحار».

وواقعياً يعتبر «حزب آكلى الفول» هو أكثر الأحزاب شعبية وديمقراطية. فهو حزب يؤمن بالتعددية، لا يأكل الفول على نحو واحد، لكن مرة بالزيت ومرة بالسمن، ومرة نابت ومرة طعمية ومرة بصارة.

وهو قادر دائماً على تقديم «فجل جديد» ـ عفواً.. أقصد فكر جديد يجعل الفول أكثر من مجرد غذاء بقولى مفيد ويحوله مع الوقت إلى «منهج حياة»، وتوجه فكرى أصيل، وقد كانت «لفتة» طيبة وجريئة، من الحزب الوطنى، الشهير باسم «الحزن الوطنى» أن أقام مؤخرًا، جلسة نقاش موسعة حول الأهمية القصوى التى يمثلها الفول، للشعب المصرى كغذاء أساسى، أجمعت عليه قوى الشعب العامل (بنسبة ٩ر٩٩٪)

وفى جلسة النقاش التى نظمها وأدارها مسئول لجنة التكنولوجيا بمقر الحزب فى الجيزة، قدمت إحدى الباحثات اكتشافها الجديد، بين عدد من أساتذة المركز القومى للبحوث، قسم التغذية، وكم كان الاكتشاف مذهلاً، حين عرفنا أنه نوع

مستحدث من الفول، اسمه العلمى «فول المانج» وهو متعدد الفوائد والمزايا والاستخدامات فبخلاف تقديمه ساخنًا مع الطحينة والتحابيش، يمكن عمله كشرى وشوربة وسلطة خضراء.

وأكثر من ذلك يمكن سحق بذوره وإعدادها كالدقيق، والاعتماد عليها فى عمل الخبز الغامق والفاتح والفلاحى الطرى والناشف.

الحق يقال، أثار الفول الجديد حماس عدد غير قليل من الباحثين والحاضرين، ومن السادة أعضاء الحزب الموقرين، الذين تحدثوا طويلاً أمام الميكروفونات، وتناوبوا الأسئلة والتعليقات والتوصيات ثم استوضحوا واقترحوا، ووعدوا، واستبشروا وتفاءلوا وانفضوا، وذهب كل منهم إلى حال سبيله لايلوى على شىء.

بينما أنا عن نفسى خرجت من الندوة وكلى وطنية وواقعية واقتناع بأن «الفول هو الحل».

• أسعد حمار فى مصر

ياناس ياشر كفاية قر، الحلوة دى مش ورث دى جت بخلع الضرس، والعين صابتنى ورب العرش نجانى، وعضة أسد ولانظرة حسد..

كم أحب «مستر روجر» أن يحيط فيلته الوردية بهذه الشعارات والجمل المأثورة، لعلها تنجح فى صد الحاسدين له والحاقدين عليه، لولا أن برستيجه أمام جيرانه الأجانب وحيثيته وشهرته عند أصدقائه الأوروبيين كانت تصده كل مرة عن مثل هذه الأفعال التى قد يصفها البعض بأنها بلدى، واياااه ومنافية لروح العلم والحداثة والعولمة فى غياب المضمون.

ومع ذلك يستقر فى عمق أعماق «مستر روجر» اعتقاد راسخ أصيل بأنه محسود ومنظور ونجمه خفيف قد يكون بسبب أصله المصرى أبًا عن جد قبل أن يكتسب اسمه وجنسيته السويدية فى الآونة الأخيرة.

وربما كان ذلك بسبب أنه وحيد فريد شريد يعيش حتى الآن بقلب خاو يقضى معظم وقته فى حديقة فيلته المطلة على البحر بالغردقة، القريبة من إسطبل الخيل، المحاطة بالنخيل المجاورة لمركز الغطس والتزحلق على الماء.

ليس عنده إلا عمله فى السياحة نهارًا، ووحدته خلف باب فيلته ليلاً.

فهو على مايبدو يفضل الاستقامة، ويبتعد عن الخمور والنساء والسهر والرقص إلى وش الصبح كما يفعل معظم المحيطين به.

حتى العوم مع السائحات المحبات للمايوهات البكينى والفرتش كات يتجنبه، وأحيانًا يبالغ فى التعفف والتقشف، فيعترض على قطع الشيكولاتة والتفاح التى يقدمونها له فى الإفطار، ويصمم ألا يأكل غير الفول والبرسيم مثله مثل أى حمار عادى فى سنه إنه حقًا حمار.. نعم «مستر روجر» ليس إلا حمار حصاوى، يعيش فى منتجع مجاويش السياحى. منذ سنوات داخل فيلا فاخرة لها حديقة مزهرة وباب خشبى به لوحة تحمل صورته مع اسمه المدون بحروف أجنبية واضحة.

يقولون إنه أسعد حمار فى مصر، وربما فى العالم، لكن من يتتبع قصة حياته قد يشفق عليه، ويُكون عنه رأيًا آخر أقرب مايكون لوجهة نظر عبد المطلب فى أغنية «ياحاسدين الناس، مالكم ومال الناس، دا كل قلب فى ألم ولكل واحد كاس»!

وحكاية المستر روجر، بدأت من السبعينيات عندما كانت الإدارة الفرنسية هى المسئولة الأولى عن منتجع مجاويش بالغردقة، وقد جعلت منه قرية بدائية الطابع، بسيطة الأدوات.

وفى هذا الإطار القروى المتباسط كانت عربيات الكارو يجرها الحمير تنتظر الضيوف عند باب الدخول الخارجى للمنتج وتحمل حقائبهم وأغراضهم حتى باب الشاليه، لكن الإدارة الفرنسية انسحبت، وانتهت فلسفتها الإدارية المحبة لروح السفارى والفنكشة والحنكشة، وتسلمت مصر للسياحة مسئولية مجاويش، وفى عدد قليل من السنوات تضاعفت أعداد الحدائق والفيلات وامتد الشاطئ بالعمران وتزايدت الأفواج السياحية، ووصل عدد النزلاء للمئات والآلاف بما يتعذر معه الاعتماد على قافلة الحمير والكارو إياه وجعل الإدارة المصرية الجديدة تعطى الحمير استمارة ٦، وتسرحهم من الخدمة فيما عدا حمار واحد، استبقته على سبيل التذكار ولحمل أدوات وملابس الغطس نهارًا من مركز الرياضات المائية للشاطئ وبالعكس، وقد كانت المهمة بالصدفة من نصيب «مستر روجر» الذى أطلقت عليه هذا اللقب إحدى العاملات السويديات المسئولة عن غذائه ورعايته مع مباشرة البريد شبه اليومى، الذى يصل الإدارة من السياح بخصوص لفت نظر المسئولين لضرورة العناية النفسية بالسيد روجر، وعدم سبه أو زجره أو إيذائه جسديًا.

الآن البحث جارى، عن حمارة جميلة ذات أصل ونسب وثقافة أجنبية (بيضاء وتشارك فى الأثاث) كى تشاركه حياته وتنتهى المعاناة العاطفية لمستر روجر ويعيش قرير العين سعيد القلب مبتهج النهيق يغنى لها برومانسية خطابك كتير وقالوا لى تستاهلى الدريس والفولى.. من بين البهائم واحد بتشاورى عليه وتقولى.. حمارى أهه.. حبيبى أهه.

تستطيع أن تراسله وتهنئه بالزواج السعيد على عنوانه (الغردقة ـ مجاويش ـ فيلا روجر) وسيصلك الرد المناسب فى أسرع وقت من السكرتارية الخاصة به.

إن لم تصدقنى جرب.. وحظًا سعيدًا لكل حمار فى مصر!

• الأستاذة نجوى

فتحت الباب فوجدتها أمامى شامخة قدمت لى نفسها بزهو وكبرياء «أنا نجوى».

كانت سيدة فارعة الطول، سمراء رفيعة، ترتدى «تاييرًا» مستهلكًا، لكن حقيبة يدها من نوع جيد، على عينها نظارة كعب كوباية وشكلها العام يوحى بأنها مفتشة علوم فى مدرسة حكومية، أو موظفة فى الشهر العقارى.

قبل أن أسمح لها، دخلت وحدها على اعتبار أنها صاحبة بيت وقبل أن أزيد كلمة على «أهلاً.. إزيك» بادرتنى بسؤالها: عايزة أشحن الموبايل.. عندك فيشة قريبة هنا؟

كنت ما أزال على صمتى، بينما هى تقول: أصل الموبايل مهم قوى عشان شغلى، وساعات جوزى أو ابنى يحبوا يطمنوا عليا.

أدرت مؤشر الراديو على موجة البرنامج العام، كى أشيع فى المكان جوًا من المرح والحماس للعمل.

فقالت بحزم: لا أنا عايزة أسمع إذاعة الأغانى، وقبل ما اشتغل هاعمل لنفسى كوباية شاى، وعايزة لبس للشغل.. شوفيلى أى حاجة من عندك، يستحسن يكون بلوزة وبنطلون ، عشان ما بحبش الجلاليب.

نسيت أقول لكم: إن نجوى هى الشغالة الجديدة التى أرسلتها لى خالتى كى تساعدنى مرة كل أسبوع أو اثنين فى تنظيف البيت، بدلاً من أم سمير الشغالة اللى قبلها، والتى اختفت مؤخرًا فى ظروف غامضة، وفشلت كل المساعى السلمية والدبلوماسية فى إعادة الاتصال بها، وإقناعها بمعاودة بث خدماتها الجليلة، لأمثالى، من ذوى المهارات المنزلية المحدودة.

ما علينا.. لم تمض ١٠ دقائق على نجوى فى المطبخ إلا ووجدتها تصرخ منادية بأعلى صوت: يا أبلة.. يا أبلة.. تركت ما فى يدى وأسرعت نحوها مخضوضة، ملهوفة فوجدتها تضع يدًا فى وسطها، وتمسك باليد الأخرى كوب الشاى، وتسألنى بهدوء: ما عندكيش كيك أو بسكوت.. أى حاجة «أنأنأ» بيها مع الشاى؟!

ابتلعت فرستى القوية وميولى العدوانية، وتصنعت الثبات وأنا أقول لها: حضرتك بس خلصى المطبخ وأنا أدخل على طول أحطلك الفطار.

- ردت دون اكتراث: لا.. ميعاد فطارى مش دلوقتى.

بعد نصف ساعة، عاودت نجوى الصراخ: يا أبلة.. يا أبلة.

ـ نعم .. نعم.. فيه أيه؟

كتب كتاب يعنى من غير دخلة، وجوزها اللى هو يعنى خطيبها سافر الخليج وعمل قرشين، بس مات هناك، فهى بقى ورثت فيه، وخدت ٣٠ ألف جنيه حطت خمستلاف فى الجامع وخدت لنفسها ٢٥ ألفًا... وبعدين عرفت واحد من التليفون، وحبته من غير ما تشوفه، هى حلوة كده، وصغيرة وبتلبس كويس، بس عندها كده عرجة بسيطة فى رجلها أصلها وهى صغيرة، ١٣ سنة، عملت حادثة، والدكاترة قالوا... ... ...

كاد اليوم ينقضى تقريبًا، ولم أعرف حتى الآن نهاية هذه الحدوتة، ولا مغزاها الاجتماعى أو الأخلاقى أو السياسى وما السؤال المطلوب الإجابة عليه من ناحيتى؟!

فعلى مدى أكثر من ٧ ساعات متواصلة لم تكف نجوى عن الحكى واللت والعجن والصراخ والطلبات المستمرة والمستفزة والمتوالية، بعدها أخذت «المعلوم» وتركت لى البيت يضرب يقلب وكان الراديو يذيع وقتها ، أغنية «أسألك الرحيلا!!»

• سيما أونطة.. هاتوا فلوسنا!

لو كان فيه خير، ما كان رماه الطير، وعلى رأى المثل ما أسخم من سيدى إلا ستى... وقال ساب أم حسن، وراح لأم حسين، قطيعة تقطعهم هما الاتنين(!).

بوش وكيرى يتنافسان على الفوز فى انتخابات الرئاسة الأمريكية، ونحن نسمع الزيطة، ونقعد جنب الحيطة، محرومين حتى من متعة التشجيع والانحياز لهذا الطرف أو ذلك.

إلا ما فى واحد فيهم عليه الطلا، ولا شىء بيجى من الغرب يسر القلب، واحد بيضرب فى العراق، والتانى بيصرح للصحف بأن مصر هى التى تستحق الضرب.

الأولانى واقف جنب إسرائيل، والثانى شعاره «العرب جرب» واليهودى عمى وتاج رأسى، وهكذا وعلى رأى المثل اجتمعت الخايبة والعايبة.. الاتنين نايبة!

وقلت يا بخت ليه لبخت، قال هاتسكت واللا أنزل حبتين تحت؟ والمنحوس منحوس، ولو دفع من دم قلبه فلوس.

وبمناسبة الفلوس بقى - وهى الحمد لله كتيير.. بس فين لنفس اللى تصرف - يؤلمنى جدًا، ويحز فى نفسى ووجدانى، أن أرى فلوس العرب تنفق هكذا بالملايين (٦ أصفار) والمليارات (٩ أصفار) والبليونات (والباقى تعدهم إنت) على شراء البضائع الأمريكية، والاستثمار فى البنوك الأجنبية، والتجارة فى شارع «وول استريت» والسكن فى «أكسفورد استريت»، والتسوق من «لافاييت» و«ما اشربش الشاى أشرب أزوزة أنا»!!

والأزوزة طبعًا أمريكانى ، تقدم مع الهامبورجر والبطاطس الشيبسى، والفراخ الإسبايسى إش «هابى ميل» وإش «ميزو - زيزو»، وإشى وجبات «الميجا»، وصدق من قال رزق الهبل على «الميجا نين»!!

القصد.. ما أطولش عليكم.. قولوا طولى: أنا عن نفسى، عاملة مقاطعة من سنتين، وواخدة عهد على نفسى، يستحيل ولايمكن أبدًا، إن شالله أعدم عينيه ويفرمنى الترومای، لو كنت أصرف «جندى» واحد، يعنى لامؤاخذة «لحلوح»، بالعربى: أى جنيه مصرى فقط لاغير ، على كافة صنف شىء أمريكانى (إن شالله يا رب يطفحوه، ويصرفوه ع العيا والحكما) بلا هامبورجر، بلا أزوزة، (ماله شاى كده؟)

ولاَّ إحنا - على رأى حسين فهمى فى فيلم «خللى بالك من زوزو» نسينا إن إحنا بنفطر فول، وبنشرب من القلة وأمنا اسمها «خدوجة»؟

ومع ذلك يا أخى، الأمريكان دوول عليهم حركا ات؟ فيلم «فهرنهايت».. سمعت عنه؟

الفيلم ده.. بتاع السخام.. القطران.. المخرج المتختخ ده.. «مايكل مور».

قال إيه يا سيدى، فيلم عامل ضجة من ساعة ما طلع فى أمريكا والعالم لأنه ضد بوش والحرب فى العراق.

اتهفيت فى دماغى وقلت أدخله، عشان أشمت فى بوش شوية، صحيح الفيلم أمريكانى وأنا عاملة مقاطعة، وكلمتى ما تنزلش الأرض أبدًا.. لكن زى بعضه.. تنزل المرة دى.

القصد.. أجيلكم فى الكلام.. قولوا تعالى: دخلت الفيلم، وادى جزاة اللى ما يسمعش كلام «مامته» وآدى آخرة الجرى ورا الدعاية وقراية الجرانين.

فيلم وثائقى تسجيلى (كأنه ملحق نشرة الأخبار) كله تريقة ومسخرة على غباوة الإدارة الأمريكية وكذبها، وزيف خطابها الإعلامى وتضارب خططها (كسبنا صلاة النبى)، بعدها يظهر الشعب العراقى والمدنيون الأبرياء الذين كانوا يعيشون حياتهم الطبيعية قبل الحرب (يا قاعدين يكفيكوا شر الجايين)، ثم تقع

الحرب والقذف والمذابح، ويعيث الجنود الأمريكيون فى بغداد فسادًا، يقتلون النساء والأطفال وطلبة الجامعات بقلب بارد ، وهم يضعون فى خوذاتهم العسكرية أسطوانات موسيقية إليكترونية، بأغانى البوب الحماسية وأشهرها أغنية (دع كل شىء يحترق.. يحترق.. يحترق) يعنى بالعربى.. زى ما تقول كده (شعللها.. شعللها.. ولعها ولعها).

وأخيرًا يصل الفيلم لكلمة الفصل والدرس المستفاد، الحرب الأمريكية فى العراق فاسدة وظالمة وصراع مصالح من أجل البترول (ده المخرج اللى بيقول)، بينما حماية المواطن الأمريكى من الإرهاب.. لاتستلزم إلا ردع المسئول عن تفجير برج التجارة العالمى وبالتالى كان على بوش أن يعلن عداءه للسعودية وليس للعراق (صلاة النبى أحسن) ساعتها كان سيجد الجميع فى صفه يساندونه بالأصوات وبالأحضان وكل الحب والامتنان، لفترة رئاسة جديدة، (والفيلم برضه هو اللى بيقول).

وعلى هذا انتهى فيلم «فهرنهايت» الأمريكانى وأضيئت أنوار القاعة، وفتحوا باب الخروج إلى الشارع، فخرجت مشدوهة مبهوتة مكبوسة مفقوعة المرارة من الذى شاهدت، محسورة القلب على الذى دفعت.

حار ونار فى جتة هوليوود، ومايكل مور وأمريكا فى ساعة واحدة، مالها أفلام عادل إمام؟ وعيبه إيه هنيدى، وتيتو، واللمبى؟ حتى أفلام يوسف شاهين اللى ما حدش بيفهم منها حاجة.. برضه أرحم.

قطيعة أمريكا وكل اللى ييجى من ريحتها.. بلا سيما.. بلا مسخرة.. على رأى المثل: آه يا عينى.. آه يا حيلى.. آه يا قرشى اللى فى جيبى.. وعلى رأى خالتى، واللى ما يشيلنى تاج على رأسه، ما استعثاش أخده مداس فى رجلى!

• البطة فى الشنطة

حقيبة سفر صغيرة سوداء محشوة بالبط والسمن والجبنة القديمة، كانت أعز ما يملك «إبراهيم» فى رحلته إلى دبى، وكانت سبب قلقه طوال الوقت، كان خائفًا أن يندلق السمن ويفسد البط أو ينفتح برطمان الجبنة القديمة، ويخترق الأكياس ويبهدل الدنيا والشنطة كلها أمانة وزيارة حملها من قريته البعيدة مركز ميت غمر دقهلية.. إلى بلدياته وأصدقائه فى دبى.. عسى أن «يتمر فيهم» ويساعدوه بإخلاص على أن يجد عقد عمل مناسب، ويستقر إلى جوارهم فى الغربة يعمل ويرسل ما يقدره الله عليه ، إلى زوجته والأولاد فى البلد.

وحيث إن إبراهيم ذلك الشاب الريفى الفارع ذا الجلباب الأبيض الزاهى طلع بلدياتى من نفس المحافظة وهو زميل المقعد المجاور لى على الطائرة التى حملتنا يومها من القاهرة فى اتجاه دبى ، كان لزامًا علىَّ من باب الود والإنسانية أن أمضى الرحلة أطمئنه على

وصول «شنطة البط» سالمة بإذن الله إلى مقرها ومثواها الأخير فى بيت بلدياته وأصدقائه الذين ينتظرونه فى تلك المدينة الجميلة الغنية التى تسعد كل من يعمل بها أو يقصدها بالزيارة.

هكذا قلت له بكل ثقة وارتياح رغم أنى كنت مثله ولم يسبق لى مطلقًا زيارة هذه البلدة من قبل!

أما عن حقيبة سفرى الزرقاء الأنيقة فقد كان بها «مصيبة سودا تورطت فى حملها بسبب الشهامة الفلاحى، التى جعلتنى بدون مناسبة أعزم بقلب وحرقة على بعض أصدقائنا المصريين فى الغربة، عايزين إيه من مصر؟ والنبى لا أنتو قايلين.. والنبى ما تعملوش تكليف». وللأسف صدقونى الأندال وطلبوا منى أكثر ما يفتقدونه فى دبى بعيدًا عن دفء الوطن الأم، عارفين طلبوا إيه من الوطن الأم؟

٢٠ علبة معسل القص والسلوم! وبكل مرح وبراءة أضافوا لمعلوماتى أن المعسل المصرى، هو فخر إنتاجنا الوطنى ولا مثل له فى بلاد الخليج العربى والشيشة هناك بدونه لا طعم لها.

ثم إن الموجود منه فى السوق الحرة وكبرى محلات السوبر ماركت ثمنه يكاد يكون مضاعفًا، وأنواعه شحيحة!

ولن أروى لكم كيف اشتريت «الصنف» المطلوب وتاويت البضاعة، و«ستفت الأونطة جوه الشنطة» بإهالة أكبركم من الهدوم الحريمى فوق علب المزاج الملونة ، برائحة التفاح أو نكهة الكانتالوب ماركة «نواعم»، أو «مزاج البيه».

ثم بقلب مخلص مؤمن بالله سابل ستره على عباده المساكين، دعوت ربنا يعديها على خير، وربك مع المنكسرين جابر، يعنى فاتت وكانت توبة من دى النوبة، أو على الأقل كان يجب أن تكون كذلك، لولا إن الإنسان جبار على نفسه، ونساى بطبعه فبعد ييجى.. خمس سنين من هذا الحادث الأليم ربنا رزقنى بسفرية للولايات المتحدة الأمريكية وكالعادة سألت قبلها بالتليفون رجل الأعمال المهاجر المصرى العظيم الذى سوف يستقبلنا هناك لوكان يريد شيئًا من الوطن الأم أى خدمة؟ أى شىء يلزمك من العيلة فى مصر؟ قول يا راجل ما تتكسفش؟

قال بأدب: والله نفسى فى حاجة كده.. بس خايف يكون فيها إحراج والاَّ حاجة، أصلها حاجة مصرى قوى ومفيش منها فى أمريكا أبدًا.

عزمت عليه بقلب كى يتشجع ويطلب دون أن يخشى، فى الوطن الأم لومة لائم.

فقال ببساطة: «عايز مقورة مجشى».. أصلى بحب أعزم الأجانب على أكل مصرى ومفيش عندنا مقاور للبتنجان والكوسة.

ثم أضاف ببراءة: أبقى خبيها فى الهدوم كويس، عشان الأمن ممكن يعتبرها أسلحة بيضاء تستخدم فى خطف الطائرات ويقبضوا عليكى!!.

• تعيش إنت

هذه القصة حدثت بالفعل وبشهادة الشهود فى ذلك المقهى الشهير، المفتوح على ميدان التحرير، ذات مساء عادى، والملاعق تدور بنشاط فى أكواب الشاى الساخن تقلب السكر بصوت عال، وصلصلة لها رنين يكاد يغطى على صوت الراديو القديم، الراقد فوق رف عالٍ فى الواجهة، يذيع أغنية الست أم كلثوم «أمل حياتى.. يا حب غالى.. ما ينتهيش».. وبينما الوضع هادئ ومستقر، والأمن وافر ومستتب، هب فجأة أحد الزبائن يصرخ ويستغيث من الألم، واضعًا يده على صدره وبعدها أغمى عليه، فجرى البعض يحضر كوب ماء ويهوى له، وحاول أحدهم أن يفيقه فسفخه قلمين سخنين على وجهه، بينما اقترح أحد الزبائن الاتصال بالإسعاف وهو الاقتراح الذى رفضه معلم القهوة، منعًا للسين والجيم ودوشة الدماغ بلا داعى، لكن الوقت مر، والرجل مازال فاقد الوعى لايتحرك، لذلك أصر الزبون إياه على إقناع المعلم بإحضار

الإسعاف على وجه الضرورة والسرعة، وعلى أن يتحمل هو المسئولية كاملة.

وبالفعل استسلم المعلم لإلحاحه وحرارة طلبه، فقام باللازم، لكن الرجل المغمى عليه أفاق بعد دقائق وشرب كوب ماء وجفف عرقه، ثم غادر المقهى عائدًا لبيته قبل أن تصل سيارة الإسعاف!

حينها قال المعلم للزبون فى غضب مش قلت لك، أهو الراجل قام وروح.. هاتقول إيه دلوقت لبتوع الإسعاف؟

- رد الزبون الطيب ما فيهاش حاجة يا معلم.. على مسئوليتى أنا.. أنا هانام وأمدد فى الأرض وأمثل إنى مغمى عليا، عشان لاحد يقولك بلاغ كاذب، ولا غرامة إزعاج، ولاسين ولاجيم.

وفعلاً تمدد الرجل على الأرض وأغمض عينيه وسكن فى مكانه، حتى أتت سيارة الإسعاف ونزل منها الطبيب المختص الذى جاء لإفاقة الزبون، وجس نبضه، ووضع السماعة على صدره لمتابعة انتظام دقات القلب، لكنه ما لبث أن هز رأسه، وخلع السماعة من أذنيه وقال باقتضاب لمن حوله، البقاء لله.. الراجل مات.. حد يجى معانا علشان نعمل له شهادة وفاة!

هذه الواقعة حقيقية، نشرتها فى أواخر السبعينيات صفحات الحوادث فى الصحف اليومية، ومازالت مثار حديث لكل من عاصرها أو سمع بها من شهود العيان، ولكن ماذا نفعل وهكذا حال الدنيا. تأتى فى ثانية وتنتهى على أهون سبب.

عندك مثلاً فى جنوب شرق آسيا، يموت الملايين بسبب الزلازل والأعاصير، وفى أمريكا يموتون بالمخدرات والإيدز، وفى أوروبا يجنون البقر وأنفلونزا الدجاج، وفى الصين كان وباء سارس أهم أسباب ارتفاع الوفيات فى بكين.

ومع ذلك يموت العشرات والمئات يوميًا فى العراق لأسباب أهون وأتفه من ذلك بكثير، ذلك أنهم شعب لايأكل الهامبورجر أو البيتزا، ولاينطلق فى أجواء المرح والكوكاكولا!

هذا على حد تفسير أحد قادة الفصائل العسكرية الأمريكية، المقاتلة بالعراق، والذى أشار فى فيلم تسجيلى - أذاعته قناة الجزيرة مؤخرًا - لدهشته الشديدة أنه لم يجد فى بغداد أو الموصل أو الفلوجة أى فرع لماكدونالد أو بيتزا هت».

مؤكدًا لأحد الصحفيين الإنجليز - الذى كان يجرى وقتها تحقيقًا مصورًا عن أسباب الحرب فى العراق - أن أمريكا على امتداد تاريخها العسكرى، لم يسبق لها أبدًا أن هاجمت مدينة، فيها فرع لمطعم أمريكى أو فيها شارع يحمل إعلانات الماكدونالد والكوكاكولا، وفى الفيلم التسجيلى نفسه، تلفت الجندى الأمريكى المدجج بالسلاح، ونظر حوله وحول دبابته يقول لا أصدق أن هذه الأرض كانت مهدًا للحضارة.. لايبدو عليها ذلك أبدًا.. عمومًا نحن هنا لمصلحتهم وسيدركون ذلك جيدًا فيما بعد.. لو كان ماكدونالد هنا، ما كنا هاجمناهم!

- ابتسم الصحفى الإنجليزى وقال أخيرًا وجدت سببًا وجيهًا لانتشار مطاعم الهامبورجر عندنا فى لندن، وكذلك ابتسمت أنا

وقتها أمام الشاشة، مطمئنة على مستقبلى وسلامتى الشخصية، بسبب ترسانة المطاعم الأمريكية التى تنتشر دون هوادة فى شارعنا وتحيط بيتى فى كردون أمنى غذائى محكم.

ومن باب الاحتياط قررت أن أملأ الثلاجة بزجاجات المياه الغازية التى يعلن عنها عمرو دياب وإليسا ونانسى عجرم.

ماحدش ضامن الظروف الأعمار بيد الله، لكن برضه نعمل اللى علينا وناخد بالأسباب.

حد طايل يفطر تشيكن برجر، ويتغذى سبايسى وينجز، ويتعشى بيتزا سوبر سوبريم ويقزز بطاطس مقلية غرقانة كاتشب؟!

دى حتى حاجة تطول العمر وتساعد على الهضم، وعلى إقامة السلام العادل والشامل فى المنطقة، ودفع عجلة التنمية فى - الشرق الأعبط».

.. إيييه، له فى ذلك حكم.

وأهى أعمار .. ما حدش عارف مين هايوصل مين؟.. الإنسان نفس داخل ونفس طالع، والدنيا فانية والمتغطى بيها عريان، وحدووووه....

• حبى وفؤادى

الغريبة الواحد ساعات بيتورط، ويحط نفسه فى مواقف بايخااا..، وبعدين يرجع يعيط، ويقول: أنا اللى جبت دا كله لنفسى..

عندك مثلاً من بيجى شهر كده.. شهر ونص، لما رحت الأردن لأول مرة فى حياتى، ووصلت مدينة العقبة فيما بعد منتصف الليل، وكان حظى وقتها أن أدخل إحدى الاستراحات الساهرة على الطريق، لأجرى مكالمة تليفونية. وأشترى بعض المأكولات السريعة، على سبيل العشاء.. فإذا بى داخل الاستراحة أنسى موضوع التليفون والشراء والعشاء، مثل الأطفال أمام التليفزيون،أتابع بكل سعادة وشغف وإذ، بهلال، مراسم نهاية الإرسال التليفزيونى الرسمى بإذاعة نشيد السلام الوطنى!

النشيد الوطنى بتاعهم «ظريف جدًا» كلماته فخيمة رنانة، تبجل الملك النسيب الشريف، وتشيد بأبيه وجده، وتمتدح عهده وعزه.

واللحن كان مهيبًا، مؤثرًا، يفيض بالوفاء، وروح الفداء، ومعانى الحب والشرف والانتماء.

لذلك بقيت أذكره، أيامًا متواصلة فى رحلتى، وبين فترة وأخرى، أعيد استرجاع بعض مقاطعه من ذاكرتى، وأمشى أدندن بها، على سبيل العروبة، ومن باب الإعجاب بالأردن ومليكها الشاب الوسيم! مفيش كام يوم وصلت سوريا، وهناك وجدت صور الرئيس بشار فى كل مكان فوق الكبارى وفى محطات الأتوبيس، فى محلات البوظة وعلى الكورنيش، فى الأسواق والمتاجر والفنادق ، فى القهاوى والصيدليات والمكتبات والموانى والمعابر وعلى قدر انتشارها، توجد أحيانا إلى جوارها صور أبيه الرئيس الراحل «حافظ الأسد» وياقطة تقول «مع الأسد إلى الأبد».

حب عنيف ومشاعر جياشة، تذكرك بفيلم «حبيبى دائمًا»!

وقد أثار ذلك فضولى، لسماع كلمات النشيد الوطنى السورى، فبتأكيد لن يخلو هو الآخر من تلك المعانى الرومانسية، عنها صدقت، وأنا فى سهرة مع بعض إخواننا الشوام، نحتسى الشاى، ونقزقز الفستق، على مقهى شهير بالقرب من حلب، إلا وانسحبت من لسانى، واقترحت أن يغنى كل منا النشيد الوطنى لبلاده، على سبيل التعارف والتقارب، ودعم التبادل الثقافى بين الشعوب.

وبالفعل، انبرى أكثر من شخص فى أداء ما طلب منه إلى النهاية وبكل حماس وتمكن، وكان النشيد الوطنى السورى رائعًا، كما توقعت وأكثر، وعندما جاء دورى لأسمعهم، وأشنف آذانهم بصوتى الشجى القوى ، فى نشيد: بلادى بلادى بلاااا دى.. لك حووبى يى.. وفؤاادى.. مصر يا اام أم البلاد .. البلاااد؟ البلاااد؟!!

لوهلة شعرت بأنى نسيت، لكنى استعدت حفظى للكلمات سريعًا، وعدت أكمل الغناء بكل كفاءة ووطنية ، ومع ذلك تكرر الموقف عند المقطع الثانى: مصر أنتى أغلى درة فوق جبين الدهر غرة غوورة غرة؟؟!!

ماذا حدث؟ صوتى «بيشَّحر» وراسى «بتصب عرق».. لقد نسيت الكلمات مرة أخرى، ويقينى أن للنشيد مقطعًا ثالثًا متساويًا مع ما قبله، لكن كلماته مسحت مسحًا من ذاكرتى!

لأول مرة أكتشف أن التليفزيون عندنا من أيام اللواء المرحوم محمد عبدالوهاب وهو لايذيع إلا موسيقى السلام الوطنى موجزة وبلا كلمات، فى الخامسة فجرًا أو فى المناسبات.

شعرت بالخزى والعار والحزن الشديد، فمنذ أيام المدرسة، وتحية العلم فى طابور الصباح، لم أنشد كلمات السلام الوطنى على بعضها أبدًا.

بس فالحة أكرر أغانى روبى، وأحفظ فى «آه ونص»، واللى يسمَّعلى، يلاقينى «فوريرة» فى أغانى شرين وحكيم ، وعدوية ووائل جسار..

أقولكم الحق؟ موقفى بين الإخوة العرب كان محرجًا للغاية، أو تقدروا تقولوا «منيل بستين نيلة» لذلك اقترحت اقتراحًا بديلاً والحمد لله وافقوا عليه برضه، فغنيت لهم أغنية محمد سعد فى فيلمه الأخير: بوحه آه.. بوحه إيه.. بوحه أووووه...

• تكرم عينك

أهلين.. كيفكن؟ إشلونكم؟ الله يعطيكم العافية.. بالله اشتاقتلكم كتير.. أحدثكم الآن من شاطئ اللاذقية الكورنيش الجنوبى على البحر مباشرة والدنيا عم بتبلش بالبرد، يعنى بدأت تسقع، كيف ما بتحكوها بالمصرى»، لكن الجو شوكتير حلو، القمر ساطع والبحر يچن، والناس هوون كتير طيبة ومضيافة وكريمة، والحياة شى كتير مرتبة، الليل رائع فى سوريا، خاصة على القهاوى التى تسهر إلى الصباح مع صوت أم كلثوم وعبدالحليم حافظ، «تكرم عينك» كلمة ستسمعها كثيرًا من كل مواطن سورى وهو يبتسم فى حب ومودة خالصة ويحييك من أعماق ثنايا قلبه حين يعرف أنك من مصر «ست الدنيا» كيف ما يسمونها هوون، السوريون يحبون المصريين جدًا، وفى كل مكان يسألوننى عن عادل إمام، وهانى شاكر و«شيرين - آه ياليل» والست نبيلة عبيد، الله يعطيها العافية ويكرم

أصلها، مشرفنا عند الإخوة العرب، ومخلية سمعتنا فى السما، لدرجة أن بعضهم يعتقد إن كل امرأة ١٨٢ مصرية هى بالضرورة ست دلوعة ونغشة وفرفوشة وغالبًا تخفى تحت ردائها البرىء بدلة رقص بالترتر والشراشيب!

بعضهم أيضًا كاد يقبل يدى عندما علم أنى من المنصورة بلد أم كلثوم فالمنصورة هوون سمعتها شو كتير ممتازة «نشكر الله».

الشوارع فى سوريا برائحة الياسمين الأبيض ويود البحر المتوسط، ونكهة الفستق الحلبى، الذى أكلت منه حتى الآن ما لايقل عن ٦ وقيات «بالعيار المحلى للمحمصات الشامية، هذا غير البوظة العربى بالقشطة والمهلبية الهيطالية، وشو اسمه.. اللبنة والجبنة المشللة، وعصير التوت بالحجم العائلى، والقرص بالسمسم، والزعتر بزيت الزيتون، والكبة بالصنوبر، والسوسى بالورد (يعنى العرق سوس بماء الورد) اتعلموها بقى..

وهكذا فى حوالى ١٠ أيام زاد وزنى تقريبًا ١٠ كيلو وشمس البحر أبدلت لون بشرتى عم بقت «بردو» يعنى بلون الزهورات، شو؟ عم ما بتعرفوا الزهورات؟ ولو...! الزهورات هوون كيف الكركديه عندكم فى مصر.. خبرتوا شو قصدى من ها الحكى؟

تكرم عينك.. ألفين سلامة.. الله معكن واللى يلزمه شى من هوون أو هونيك يقول، من عويناتى التينتين يا صبايا.. ولحين ما

أعود من رحلتى من دمشق إلى حلب إلى اللاذقية وبالعكس، ديروا بالكن على نفسكن.. أنا هوون لحالى، وبكير سأرسل ها القصة. قصدى «ها المآلة» على الجريدة عبر الفاكس تبعى، المشكلة إن مكاتب الفاكس هوون شو كتير نادرة، وأجهزة الكمبيوتر والتخاطب عبر البريد الإلكترونى شو كتير معقدة، وما بيصير اكتب لكم الأسباب والتفاصيل الآن، فأنا الآن فى مطعم على البحر وتوّك وصل العشا (سلطة طرطور وسمك السلطان إبراهيم مقلى وسمك فريدة مشوى ومتوَّمة باللمون) صحة وهنا وألفين هلا.. ولحين ما نتلقى ونكمل حكى، إليكو أحلى سلام من چى چى فى بر الشام.

• غرفة خالية

إنت دعيتنى.. وأنا لبيت.. جيالك يا حسين، تمامًا مثل الست أمينة (زوجة سى السيد فى الثلاثية) بينى وبين سيدنا الحسين عمار من زمان، وعلاقة حب فريدة، وعشم جامد، وسر باتع، وود صافى لله فى لله.. (شى الله يا أهل بيت النبى الطيبين).

وقد دعانى الحسين لزيارته قبل أسبوعين فإذا بى وأنا فى رحلة سياحية صحفية، لسوريا، ولاع الخاطر ولا فى النية، أجد نفسى - على غير موعد أو ترتيب - واقفة أمام باب مفتوح، على الجانب الأيسر من ساحة رخامية فسيحة ملساء هى ساحة الجامع الأموى القديم بدمشق.

وعلى الباب يافطة كتب عليها «مقام الشهيد الحسين بن على رضي الله عنه» ولأول مرة أكتشف أن لسيدنا الحسين مقامًا آخر غير مقامه ومسجده عندنا فى القاهرة.

فهناك يرقد جسده الطاهر، ويقال أن رأسه الشريف هى التى استقرت فى مصر، دخلت للمكان فى سعادة غامرة، وعلى شباكه الفضى وقفت أقرأ الفاتحة، بعدها تفحصت عينى النظافة الفائقة، فى الزوايا والحوائط والأركان، والأرضية المفروشة بالسجاد الأخضر، وتتسم قلبى الأمان والسكينة فى رائحة الهواء المبخر والمعطر.

من خلف الزجاج كنت أرى المقام المكسو بالحرير محاطا بعدد كبير من الشموع وقطع الحلوى ومئات العملات الفضية والورقية، التى ألقى بها الناس لداخل المقام، بطريقة لا أعرفها حتى الآن.

فرق شاسع بين مقام الحسين فى سوريا، ومقامه عندنا فى مصر، هناك لا يوجد متسولون، ولا نساء تتسامر وتأكل وتترك بقايا الخبز والبلح بين وبر السجاد على الأرض . تحت جباه وأقدام المصلين.

حتى الأطفال هناك مظهرهم نظيف وأنيق لدرجة تسترعى الانتباه، وجميعهم يتصرف فى هدوء ويتحرك بحساب كأنه مدرب سلفًا، على التعامل بشكل خاص، مع مثل هذه الأماكن، على شباك الحسين عشرات من شرائط القماش المعقودة. وجدائل الخيوط المربوطة رمز للنذر، أو أثر لفك العكوسات وتيسير الأحوال، أو استبشار، بقبول الدعاء ومجىء الفرج القريب.

هذا على حد اعتقاد بعض النساء الزائرات للمقام خاصة الإيرانيات منهن والعراقيات.

أما أنا فقد خرجت من المقام منشرحة الصدر مجبورة الخاطر، أتوقع الخير والبركة لباقى أيام الرحلة، وبالفعل انكشفت الغمة وزال البلاء وانتهت إقامتى فى فندق «آلاء».

وهو عاديكم، وربنا لا يوريكم، غالى جدًا وردىء جدًا، وغرفه سياحية أكثر من اللازم فهى سيئة لدرجة تحرضك على قضاء اليوم كله متجولاً فى الشوارع، ولا تعود لفراشك إلا مضطرًا، ولا تمكث به إلا أقل القليل!

عندك مثلاً غرفتى التى كانت أشبه ما تكون بالصندوق المغلق من كل الجهات وأقرب ما تكون للقبر المعد سلفًا لتعذيب أبرهة الأشرم أو مسيلمة الكذاب لم يكن بها أى شباك أو منط على مسقط أو فتحة هواء.. ولو نشب حريق فلا مفر ولا مهرب ولا محيص.

هذا بخلاف جهاز التكييف العطلان، وباب الثلاجة المخلوع، وتليفزيون صغير أبيض وأسود بيعمل «وش ش ش».. مشارك الرطوبة الخانقة، وبعض الصراصير الطائشة. فى حملة إجلائى عن الغرفة بكل الطرق والكبارى، ولولا بركة الحسين، ما كنت خرجت من هذا الجحر سليمة، بغير سوء ولا جرب إلى حيث دلنى رجل حلبى طيب على غرفة بديلة فى فندق ممتاز، متميز الخدمة والمستوى وبأقل من نصف تكاليف الإقامة فى فندق «آلاء» لعنة الله عليه وعلى من دلى عليه.. ولكن ماذا فعل؟. فالغريب أعمى ولو كان بصيرًا، ووجود غرفة خالية، فى فندق سورى، فترة الموسم

السياحى الصيفى، شىء فى حكم العنقاء والخل الوفى، والرجل المخلص، والسعادة الزوجية، والوحدة العربية، وتحرير فلسطين، ويروى فى ذلك أن جحا سافر إلى دمشق، وفقد حماره فى السوق، فأمضى النهار كله يبحث عنه دون أن يجده، وحين حل الليل قرر أن يبيت فى أى فندق، ليكمل البحث فى اليوم التالى، لكنه لم يجد غرفة واحدة خالية فى أى مكان، فذهب لصاحب أحد الفنادق يترجاه.

قال له، ليس عندى إلا غرفة لعريس وعروسة فى شهر العسل، وهما الآن يتنزهان بالخارج، فهل تدخل وتنام تحت السرير؟

- وافق جحا مضطرًا، حتى دخل العريس مع عروسه فى نصف الليل، وجلس العريس على السرير ينظر فى عيون عروسه ويغازلها بقوله، حبيبتى .. حين أنظر فى عينيكى.. أرى الدنيا كلها أمامى

فخرج جحا من تحت السرير بسرعة يقول:

«دخيلك.. حمارى ضايع.. ممكن تبص تانى وتشفهولى وين؟!!».

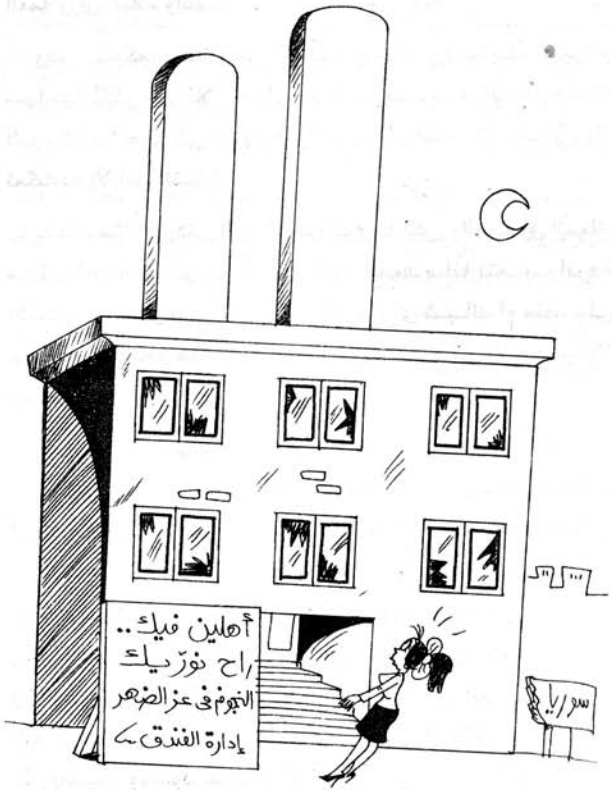

• النجدة.. الغوث

«من حكمدار العاصمة إلى المواطن القاطن فى دير الملاك.. احذر فالدواء فيه سم قاتل».. منذ سمعت هذا النداء فى فيلم عماد حمدى القديم وأنا مقتنعة وموقنة، أن الشرطة فى خدمة الشعب، و١٢٢ هى المنقذ والمسعف والملاذ الأول والأخير، لكل مواطن مستغيث مستجير، قبل أن تخطفه عصابة اللهو الخفى، فالبوليس دائمًا وطبعًا جاهز ومستعد، يقتحم المكان على طريقة «سلم نفسك وارفع إيديك.. مفيش داعى للمقاومة.. المكان محاصر من كل ناحية»!

إلى هذا الحد كانت ثقتى فى خدمات الشرطة الجليلة، وخطورة الجملة المثيرة «آلووه.. بوليس النجدة؟»

إلى أن أتت تلك الليلة، واكتشفت أخيرًا وبالصدفة، زيف أفكارى المثالية وتصوراتى الساذجة والسينمائية، عن البوليس فى بلدنا وخدمة النجدة «١٢٢».

كانت الساعة الرابعة والنصف صباحًا، والمفترض أن أكون وقتها فى أحلاها نومة، لولا صوت الونش الأجش، والكراكات المفترسة الشرسة التى كانت تبدد سكون الليل، وتجعر فى الفضاء الكونى الفسيح بأعلى صوت لها.

خرجت إلى البلكونة أستكشف مصدر الهجمات الوحشية، وأسباب هذا الإزعاج المستفز والمعادى للاستقرار العائلى. فوجدتها عمارة تحت الإنشاء على الجانب الآخر من الشارع، تتقلت عيناى بين النوافذ والبلكونات على امتداد الشارع. بحثًا عن أى متمرد ثائر، يخرج ويحتج أو أى شهم واعد يندد ويشجب، فما وجدت أحدًا ولا حياة لمن تنادى.. آه يا شارع ما فيهوش رجالة!».

لكن هذه الليلة لم تكن الأخيرة، وتكررت المأساة ثلاث ليال متوالية، إلى أن فاض بى، وقلت «لأ بأه» الراجل صاحب العمارة ده فاكرنا إيه؟ هفيه؟ إن ما عملت لك محضر إزعاج يتوبك ويعرفك إن الله حق.. فين التليفون؟ إلحقونى ببوليس النجدة.

- آلووه.. بوليس النجدة.

هكذا بادرت من نفسى أتكلم، بينما رنين التليفون كان لا يزال مستمرًا.. تررررن.. تررررن .. إيه الملل ده؟ أكونش ضربت النمرة غلط!

يادى المصيبة، دانا لو كنت ببلغ عن سرقة بالإكراه، أو تهديد بالقتل، كان زمانى دلوقت ضحية مدرجة فى دمائها أو قتيلة متقطعة ٧٠٠ حتة.

ترررن.. ترررن...

وأخيرًا رد صوت ضعيف متثائب متكاسل، يقول بكل هدوء وراحة بال: أيوه.. نعم.

- سألت بلوعة المشتاق الملتاع، «بوليس النجدة»؟

- كرر بنفس الهدوء. أيوه نعم.

- ذكرت له بحماس اسمى وصفتى وعنوانى وقلت له «عندى بلاغ» عن..

- استوقفنى قائلا: قوللى الأول نمرة تليفونك كام؟

- إيه ده؟ أنت ما عندكش خدمة إظهار رقم الطالب؟

- لا ياستى ما عنديش.

- إيه ده؟ يعنى أنت دلوقت مش شايف نمرتى وبتسجل بياناتى ع الكمبيوتر، زى ما كنتاكى بيعمل لما أطلب منه سندوتشات؟

- أفاق الرجل فجأة، وأخيرًا رد بحماس: كنتاكى إيه يا ست.. إحنا النجدة.

- باستعباط شديد أجبته: والله..! أنا آسفة جدًا يا حاج.. الظاهر النمرة غلط.

ثم وضعت السماعة بهدوء. وقد أدركت يقينًا من يومها أن الاستغاثة بكنتاكى، ستكون أجدى فى المرات القادمة!!

• على آخر دقيقة

عزيزتى القارئة:

طالما أنك قارئة، وحيث إنك عزيزة أحب أقول لك سرًا عن عزيزتك الكاتبة التى هى أنا، على شرط يبقى السر فى بير، وما تقوليش لحد عليه.

تصدقى يا أختى .. أحيانا الاقى نفسى مفلسة ومكسلة وناسية، وماعنديش أى فكرة عدلة تنفع تتكتب فى عامودى الثابت «الذى هو بين يديك الآن».

ويسألونى فى الجورنال، كتبتى المقال؟

أقول لهم: طبعًا.. حالا ثوانى.. أصلى عايزة أعدل فى بعض الكلمات وبافكر أغير فى العنوان، أو أختصر شوية فى الخاتمة.

وطبعًا ده كله نصب وسرح وتمويه لحد ما ربنا يحلها من عنده، ويرزقنى بالفكرة الألمعية العبقرية، التى تستحق قراءة سعادتك أو تسترعى انتباه جنابك.

لذلك وبناء عليه يكون مقالى هو آخر ما يكتب ويطبع ويظهر فى الجورنال، قبل صدوره مباشرة وعلى آخر دقيقة.

وأذكر فيما أذكر أنى منذ فترة وجيزة نسبيًا كنت أكتب مقالاً، ثابتًا أسبوعيًا، فى جريدة الأهرام (يوم الجمعة - بعنوان أكل العيش) جنبًا إلى جنب مع عدد لا يستهان به من كبار الكتاب والمفكرين فى مصر، كلهم كانوا يسلمون مقالاتهم فى موعدها المحدد «الأحد صباحًا».. أما أنا فكالعادة أسلم مقالى على آخر دقيقة يوم الأربعاء مساء.

وقد تسبب هذا بغير قصد أو عمد فى أن يذهب مقالى للمطبعة مباشرة دون أن يراجعه أحد.. أى أحد.. وبالتالى ينشر كما هو بالحرف، وبعدها أجد عشرات القراء يشيدون بى وبالجرأة والحرية، التى تتيحها لى الأهرام العريقة، معقل الصحافة القومية، والتى بدت وقتها تنافس صحف المعارضة فى السخونة والشفافية والشجاعة الأدبية غير المسبوقة أو المتوقعة.

وظل الحال على ما هو عليه، حتى أرسل مسئول صغير، شكوى للسيد ، رئيس التحرير مشيرًا لمعلومة وردت بشأنه فى إحدى مقالاتى اللوذعية وحينها سأل الأستاذ إبراهيم نافع رئيس التحرير عن من راجع المقال وسمح بنشره، وعندها اكتشف الجميع «بمن فيهم أنا» ولأول مرة، أن مقالاتى منذ أكثر من ٣ أعوام كلها تأتى على اخر دقيقة وبالتالى لا تراجع ، دون أن ينتبه لذلك أحد.

وكانت مصيبة وفضيحة، اعتذر عنها رسميًا رئيسى المباشر

مدير تحرير الأهرام، أما أنا فتم إيقافى عن الكتابة ٤ أسابيع، بعدها سمحوا لى بمواصلة النشر، على أساس أنه كان خطأ غير مقصود، حدث بحسن النية، لكنهم بعدها كانوا يراجعون مقالاتى أنا بالذات سطرا بسطر، وحرفًا بحرف وعلى وجه الخصوص والدقة والحذر الشديد!!

• اتفرس.. طق حنك!

* أول مرة رأيته فيها كان يعوم فى حمام السباحة سعيدًا منطلقًا كعادته وكان بالمصادفة يوم عيد ميلادى..

قدمته لى إحدى صديقاتى فابتسمت وهززت له رأسى، وقلت:

أهلاً...

لكنى لم أكمل جملتى، حيث لم أكن ساعتها أعرف اسمه.

نظرت نحو صديقتى، أستجدى مساعدتها لأخرج من هذا المأزق، لكنها ضحكت والتفتت إليه تقول:

أقدم لك چيهان... أعز صديقاتى.

ثم أقبلت نحوى وقبلتنى، من هنا ومن هنا تقول، كل سنة وإنتى طيبة يا چوچو عيد ميلاد سعيد.

الأستاذ ده بقى، هدية عيد ميلادك سميه على مزاجك، زى ما إنتى عايزة (!)

نظرت له من جديد ، وقلبى يتخبط من السعادة، هل هو الحب من أول نظرة؟ أم أنه مجرد إعجاب ، وانبهار مؤقت بشكله الجميل ولياقته ورشاقته ونشاطه الزائد تحت الماء؟

حملت حوض الماء المستدير الشفاف من يد صديقتى، وأنا أفكر فى رسم، يليق بهذا المخلوق البرتقالى الرائع، والذى يتحرك داخل حوض الماء فاردًا ذيله الرقيق خلفه، مستعرضًا زعانفه الجميلة الملونة بكل براءة وارتياح وكبرياء التفت لصديقتى أسألها: إنتى متأكدة أن السمكة دى مذكر؟

يعنى مش سمكاية نتاية؟

- أجابت بثقة: عيب يا بنتى.

- أنا خبيرة فى سمك الزينة، والسمكة دى بالذات راجل من ضهر راجل..

- ياالله بقى اختارى له اسم.

* على بركة الله: نسميه «رزق» عشان اتفائل بيه، وممكن أبقى أدلعه وأقوله «زقزوق» عشان نشيل الكلفة، وناخد على بعض بسرعة.

ربتت صديقتى بيدها على كتفى فى حنان، ثم قالت فى شفقة: دلوقت بس أطمأنيت عليكى..

معاكى راجل يونسك وياخد باله منك مبروك عليكى «رزق»، هو ده آخر صبرك (وضعنا كفًا على كف وبعدها غرقنا معًا فى الضحك).

كانت متصورة أنها أعطتنى مقلبًا، لكن «رزق» كان ظريفًا فعلاً، بل وكان من أفكس الهدايا التى تلقيتها فى حياتى.

هدية حية متحركة ، لها لونها المميز وشخصيتها المستقلة وطموحها الفردى الوثاب.

يومًا بعد يوم توثقت العلاقة بيننا، ونمت مشاعرنا على المحبة والتفاهم والاحترام المتبادل.. كل منا يسلى الآخر قدر استطاعته هو يلف ويدور ويرقص فى الماء، كلاعبات الباليه المائى الجميلات فى دورة أثينا الأولمبية وأنا رايحة جاية عليه «أدحرج الصباح»، و «أزحلق المسا» صباح الخير يا زقزوق.. عامل إيه النهارده يا زق زق؟

بردان؟ حران؟ مش ناقصك حاجة.. قول ما تتكسفش إحنا إخوات.. طب أنا نازلة.. مش عايز حاجة من تحت؟

وعلى هذا الحال مرت الأيام، واعتدت وجود «رزق» فى بيتى وحياتى، التعود جعلنى أفقد انبهارى الأول به، وربما هو أيضًا، مشاعره أصابها الملل والفتور، فلم يعد سعيدًا مثلما كان من قبل!

فى أحد الأيام الحارة، عدت متأخرة عن موعدى المعتاد فوجدته راكدًا فى قعر الحوض، وقد اختلط لونه البرتقالى بلون حبوب غذائه الحمراء والخضراء، وبدا المنظر وكأنه طبق شوربة خضار بايت، اقتربت مسرعة من الحوض الصغير، وطرقت على زجاجه بأظافرى، فى عزف موسيقى منفرد قلق، لكنه لم يستجب أو يتحرك كما توقعت! رزق.. رزق.. رد عليا.. أوعى تكون مت.. ربنا يخليك.. فوق يا زقزوق.. عشان خاطرى فوق.

بلهفة وتوسل، كنت ألقى على مسامعه هذه الكلمات والمناشدات الإنسانية الملتاعة، وأنا أسرع بتغيير ماء الحوض، وتجديد ما به من حبوب الغذاء، ومكعبات مقاومة الكلور وتطهير الماء.

بعد لحظات نجحت محاولة الإسعاف السريع والإنقاذ النهرى، وأفاق «رزق» كالخارج لتوه من غرفة الإنعاش!

يومها أدركت كم أنى أحبه، وكم أنا حريصة على حياته وعلى بقائه فى حياتى، لكن التعود وروتين الحياة، عاد يتسرب لعلاقتنا من جديد ومع الوقت لم أعد أشعر نحوه بعواطف معينة، بقدر شعورى بالمسئولية تجاهه، ومع ذلك كان لرزق على ما يبدو رأى آخر، لم يطلعنى عليه بصراحة ، إلا فى يومه الأخير! يومها عدت للبيت حوالى الثامنة مساء، وكان المفروض أن أمر مرور الكرام على الحوض الذى يسكنه ويعوم فيه لكنى فوجئت به جثة هامدة بلا حراك، والضباب يحيط بجسمانه ويعكر لون الماء، لدرجة تثير الذعر والدهشة هذه المرة لم تفلح محاولات الإسعاف والإنقاذ وتجديد المياه والأكسجين.. لقد مات حقًا، وانتقل إلى رحمة الله تعالى المرحوم رزق البرتقالى . الشهير بزقزوق السكرة، فقيد الشباب الغالى، وفخر سلالة «النوفوتيل» النادرة، وقريب ونسيب أكبر عائلات أسماك الزينة بالبحر الأحمر (تلغرافيًا: محميات الشعاب المرجانية الغردقة) حسرة عليك وعلى اللى نابك، يا زقزوق يا ميت فى عز شبابك.. فايتنى بعدك لمين.. يا آخر الرجال المحترمين.

قبل أن أستقر على مكان لدفنه، أدخلته الثلاجة ، ثم جلست أفكر فى سبب الوفاة، مبدئيًا استبعدت أن يكون الحادث إرهابيًا، حيث لا يوجد بالقرب من الحوض أية عبوات ناسفة أو أية حافلات مفخخة.

ويستبعد أيضًا أن يكون مقتله بقصد جنائى، حيث إنه لا توجد بالجثة أى آثار للتعذيب أو للأعيرة النارية من أى نوع.. ثم إن «رزق» لم يكن له أعداء.. على العكس. .طول عمره فى حاله، وديع ومسالم ويعوم جنب الحيط، وأكثر من هذا كان منغلقًا على ذاته، وانطوائيًا معظم الوقت.

ربما كان ذلك بالذات ما عجل بأجله، وقصف عمره، وطلع روحه من بدرى(!).

فقد عاش رزق معظم أيامه، وحيدًا فريدًا شريدًا، لا ونيس ولا جليس ولا حلم ولا هدف، ولا قصة حب، ولا مشاعر تبهج الروح، ولا أحاسيس تحرك القلب.. كانت عيشته سودة، وحاله يغم راح ضحية الحياة المادية، وقلة المفهومية، التى جعلتنى أتصور أن كل ما يلزمه هو الماء والغذاء والأكسجين، مع أن الحياة ليست أكل وشرب وأكسجين، وحتى الحيوان - سبحان الله - لا يحيا بالخبز وحده.

مات «رزق» لأنه عاش دون أن يحب حد أو يتحمس لشىء، فانطوى وانزوى ثم تجمد وتبلد ثم توقف نبض الحياة داخله، فسقط إلى الأبد.

وذهب مع الريح.

سامحنى يا «رزق» لم أفهم مأساتك، رغم أنها مأساة ملايين البشر، وتلك هى المأساة، لكنك الآن علمتنى الدرس وأرجو ألا يكون قد أتى متأخرًا .. سأبحث عن شجرة جميلة فى حديقة واسعة، كى أدفنك تحتها ، وعند مقبرتك الغالية، سأرفع يافطة تذكارية باسمك. «زقزوق.. شهيد الحب والمبادئ».

عكوسات!!

مدد يا شيخ سعيد مداد والنبى تستاهل أعملك مقام، وأقيد لك كل خميس دستتين شمع، وندر عليا والندر دين، لو يتحقق اللى فى بالى وأنول المراد، لأوزع على حبايبك عيش وفول نابت، وأعشى الغلابة رز بلبن.

والشيخ سعيد، لمن لا يعرفه، رجل بركة وسره باتع وأنا اللى من تغفيلى وقلة عقلى ونقص علمى بأهل الخطوة الواصلين، كنت فاكراه راجل بصباص وبتاع ستات وعينه زايغة.

لذلك رفضت رفضاً باتًا، وامتنعت منعًا لازمًا جازمًا، أن أعطيه يدى كى يقرأ لى الكف، ويشوف لى بختى المدوحس واللى انكتب فى الإيدين ولازم تشوفه العين.

وقد ضحك أصدقائى كثيرًا لهذا الموقف الجاد المتشدد، وقالوا لى ساخرين «سيبيه يمسك إيدك يا فوزية.. يمكن عقدتك

تتحل.. سيبيه يمسكها يا فوزية يمكن تطرى فى إيده»! وأمسك الشيخ سعيد بيدى يومها فى اهتمام، وتفحص خطوط كفى بدهشة حتى جعلنى أسأله بقلق: يا ساتر يا رب، فيه إيه يا شيخ سعيد؟! طمنى إلهى يسترك.. شايف إيه.

أمعن النظر فى خطوط يدى من جديد، وكأنه يفك شفرة خريطة سرية، أو يكتشف تعويذة سحرية مكتوبة على جدارية فرعونية قديمة.

وأخيرًا أخذ نفسه وقال: شىء غريب جدًا.

- خير ياعم الشيخ وقعت قلبى.

- قال بشفقة وحنان، حياتك غريبة قوى يا بنتى.. بصى وشوفى إنتى بنفسك.. أنا عمرى ما شفت كده!

* أرسلت نظرى نحو إصبعه الذى كان يشير إلى خطوط كثيرة، رفيعة ومتقاطعة ومتشابكة ومجدولة فى عمق وأطراف كفى. سألته بخوف: يعنى إيه يا عم الشيخ؟ الحالة خطيرة قوى؟ مافيش أمل؟

- هز رأسه وقال: خط العمر والصحة عادى مش بطال لكن خط القلب غريب، ومن زمان من طفولتك، قلق ودموع وعدم استقرار، وحكايات كتيرة قوى مش كاملة.. دايما فيه بداية، لكن مش باين لها نهاية!

* (والنبى صدقت أنا كنت عارفة إنى منظورة وطريقى كله عكوسات) كمل كمل يا شيخ سعيد، وخرط على قلبى بصل.

لم يهتم الشيخ بكلماتى الفلاحى أو أمثالى البلدى وأكمل وكأنه لا يسمعنى.

خط النجاح والشهرة عندك فى صعود مستمر، هاتبقى حاجة كبيرة فى شغلك. لكن فيه شىء عجيب.. صعودك فى النجاح والشهرة عالى قوى، ومع ذلك لا يلازمه صعود مماثل فى المال والغنى!

قطبت جبينى أمامه، فطمأننى وقال: هاتعيشى مستورة لكن الثراء ليس مكتوبًا لك.

أنتى الآن وحيدة ولكن من يعلم.. بعد ٦ أشهر ربما تتغير خطوط كفك قليلاً ويظهر الرجل الذى يملأ عليك حياتك وقلبك.. اسألى الله أن يكون ذلك قريبًا.

على هذا انتهى لقائى بالشيخ سعيد، قبل ٦ أشهر من اليوم، كنت أظن أنى نسيته، ولولا أنى فى الفترة الأخيرة، لاحظت أن شيئًا حقيقيًا يتغير فى حياتى فعلاً، ربما ستتعدل خطوط كفى أخيرًا ويلمع نجم سعدى فى الأفق قريبًا.

والنبى دا أنا كنت أعمل ليلة لأهل الله، وأبخر بالفك والفكوك وعين العفريت، وأسمى ابنى الكبير سعيد، ولو جت بنت تبقى سعدية وأبل شربات وأفرق مهلبية، مدد يا عم الشيخ مداااد.

المؤلفة فى سطور

- كاتبة صحفية بجريدة الأهرام.

(طول عمرى سابقة سنى)

- حصلت على جائزة أحمد رجب لأحسن كتابة ساخرة فى ٢٠٠٥ من نقابة الصحفيين.

(قيمة الجائزة ٥ آلاف جنيه.. فضل ونعمة).

- تقدمت بموضوعاتها وكتاباتها الصحفية لأكثر من مسابقة دولية ومحلية ولم تنل عنها أية جائزة حتى الآن.

(ربنا عايز كده.. إعترض بقى)!.

- صدر لها كتاب «أكل العيش» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(لا تدعه يفوتك.. ولا تدفع أكثر من ٦ جنيه ٦٥ قرش)

- سبق لها العمل كمحررة تحقيقات بمجلة صباح الخير - مؤسسة روز اليوسف، ومجلة الأهرام العربى، ومجلة الأهرام الرياضى.

(أرزاق مقسمها الخلاق..)

● عملت كمسئولة عن قسم المرأة فى عدد من المجلات والجرائد العربية.

(كلها قفلت أو اتصادرت وبعضها احتجب عن الصدور بكرامته).

● قامت برحلات صحفية (على حسابها وبدون بدل سفر) لعدة دول عربية وأوروبية وتعد عنها الآن كتابا تحت الطبع (يمكن يعوض اللى اتصرف.. وكل واحد منه لله).

● ملحوظة:

أنا أكاد أجزم إن عندى «إميل أدرس»:

gihan 13080 @ yahoo.com

فهرس الكتاب

تقـــــديم لابـد منـه	٥
يا صـبـــاح اللبن الرايب	١١
إن كـنـت نـاسـى أفـكـرك	١٦
بوسـة على خـد القنصل	٢١
البـرقـان ضد حقوق الإنسـان	٢٦
يا عــزيز يا عــزيز	٣٢
ديفيد بعد نص الليل	٣٨
طبق سلطة كبير	٤٤
أنا لون جديد	٤٨
وش القـفص	٥٢
سم كــده	٥٧
محدش بياكلها بالساهل	٦١
بس إنتى قولى يارب	٦٧
البـرج اللى فـاضل	٧٠

تليفون من أحمد رجب ٧٣
الحاجة أم الاختراع ٨٠
أميرة وطيبة وبنت حلال ٨٤
الإصلاح والتغيير ٨٨
ضرب الحبيب ٩٢
الرجيم القاتل ٩٧
الشيخة كركر ١٠١
إحنا بتوع الإتيكيت ١٠٥
كيف تصنعين «صينية البطاطس» ١١١
كل شيء قسمة ونصيب ١١٤
جوزى مسجون سياسى ١١٩
البوسطجية اشتكوا! ١٢٣
ملاعيب شيخة ١٢٩
كفاية.. حراام ١٣٤
الفلوس مش كل حاجة ١٤٠
يارب أقابل حبيبى ١٤٦
معبودة الجماهير ١٥٠
أسعد حمار فى مصر ١٥٤
الأستاذة نجوى ١٥٩
سيما أونطة ١٦٣
البطة فى الشنطة ١٦٩
تعيش إنت ١٧٣

حبى وفؤادى ١٧٨
تكرم عينك ١٨٣
غرفة خالية ١٨٧
النجدة الغوث ١٩٢
على آخر دقيقة ١٩٦
اتفرس طق مات ٢٠٠
عكوسات ٢٠٧
المؤلفة فى سطور ٢١١